مِنْ مِنْبَرِ الْبُخَارِيِّ

نخبة من خطب الجمعة التي ألقاها الشيخ بالمسجد

للشيخ

أَبِي مُحَمَّدٍ حَسَن بن حَامِدٍ

غَفَرَ الله لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وَلِلْمُسْلِمِيْن

مكتبة

مَسْجِد الإِمَام البُخَارِيّ بِاللاّمَاب

مِنْ مِنْبَرِ الْبُخَارِيِّ

نخبة من خطب الجمعة التي ألقاها الشيخ بالمسجد

أبي محمد حسن بن حامد

غَفَرَ الله لَهُ وَلِوَالِدَيْهِ وِلِلْمُسْلِمِيْن

مكتبة

مسجد الإمام البخاري بالرباط

مقدمة

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

الْحَمْدُ لِلَّهِ وَالصَّلَاةُ وَالسَّلَامُ عَلَى رَسُولِ اللهِ وَعَلَى الْهِ وَصَحْبِهِ وَمَنْ تَبِعَ هُدَاهُ وَاشْهَدُ انْ لَا الْهَ الَا اللهِ وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ وَاشْهَدُ انْ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ

أَمَّا بَعْدُ

فَقَدْ وَفَّقَنِي اللهُ وَلَهُ الْحَمْدُ الَى إِعْتِلَاءِ الْمِنْبَرِ خَطِيبًا لِلْجُمُعَةِ فِي كَثِيرٍ مِنَ الْمَسَاجِدِ نَاصِحًا وَمُرْشِدًا وَدَاعِيًا إِلَى اللهِ.

وَ كانتْ اغْلبُ خَطَبِي فِي مَسْجِدِ الْإِمَامِ الْبُخَارِيِّ بِاللَّامَابِ وَهَذِهِ بَعْضُ الْخُطَبِ أَظُنُّ أَنَّ فِيهَا فَائِدَةً لِلْخُطَبَاءِ وَلِعُمُومِ الْمُسْلِمِينَ ، وَهَذِهِ الْخُطَبُ مُرْتَجِلَةٌ فَقَدْ لَا تَكُونُ مِنْ حَيْثُ الصِّيَاغَةُ وَالْبَيَانُ مُحْكَمَةً فَعُذْرًا ، ومَعهَا أَيْضًا كَلِمَاتٌ عِلْمِيَّةٌ تَعْقِيبًا عَلَى بَعْضِ الْخُطَبِ.

فَرَّغَهَا أَخُونَا أَبُو عَبْدَاللهِ وَلِيدٌ الْبَدَوِيُّ جَزَاهُ اللَّهُ خَيْرًا وَأَعَدَّهَا لِلنَّشْرِ أَخُونَا أَبُو حَمْزَةَ مُحَمَّدُ بْنُ مِيرْغَنِي بَارَكَ اللَّهُ فِيهِ

وَقَدْ تَفَرَّقْنَا فِي الْبِلَادِ وَتَوَزَّعْنَا فِي كُلِّ صِقْعٍ وَوَادٍ جَمَعَ اللَّهُ الشَّمْلَ عَلَى خَيْرٍ وَجَعَلَ ثَأْرَنَا عَلَى مَنْ ظَلَمْنَا

وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ

كَتَبَهُ أَبُو مُحَمَّدٍ حَسَنُ بْنُ حَامِدٍ
شَوَّالُ ١٤٤٥ - الرِّيَاضِ

حقيقة دين الإسلام

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ [النساء: ١].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٧٠، ٧١].

أما بعد..

فإن أصدق الحديث كلام الله -تبارك وتعالى- وخير الهدي هدي محمد صلى عليه وآله وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أما بعد...

معاشر المسلمين، فهذا تذكير بحقيقة دين الإسلام، وأصوله العظام في زمن

عُظمت فيه الفتنة، واشتدت فيه المحنة ببعد المسلمين عن التمسك بدينهم، هذا البعد الذي سببه الجهل والهوى، ودعاة السوء والباطل.

تذكير بحقيقة هذا الدين العظيم الجليل الذي ارتضاه رب العالمين للناس قال الله سبحانه وتعالى : ﴿إِنَّ الدِّينَ عِنْدَ اللَّهِ الْإِسْلَامُ﴾ [آل عمران: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى : ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

وقال تعالى : ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِي وَرَضِيتُ لَكُمُ الْإِسْلَامَ دِينًا﴾ [المائدة: ٣].

والإسلام العام هو الدين الذي بعث الله عز وجل به جميع أنبيائه ورسله، وهو عبادة الله وحده لا شريك له.

ومن جانب هذا الأصل وخالف هذا الأساس فهو من السفهاء، وإن كان في مقاييس أهل الدنيا من العظماء النبلاء.

ذلكم أن الله سبحانه وتعالى يقول : ﴿وَمَنْ يَرْغَبُ عَنْ مِلَّةِ إِبْرَاهِيمَ إِلَّا مَنْ سَفِهَ نَفْسَهُ وَلَقَدِ اصْطَفَيْنَاهُ فِي الدُّنْيَا وَإِنَّهُ فِي الْآخِرَةِ لَمِنَ الصَّالِحِينَ (١٣٠) إِذْ قَالَ لَهُ رَبُّهُ أَسْلِمْ قَالَ أَسْلَمْتُ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ (١٣١) وَوَصَّى بِهَا إِبْرَاهِيمُ بَنِيهِ وَيَعْقُوبُ يَابَنِيَّ إِنَّ اللَّهَ اصْطَفَى لَكُمُ الدِّينَ فَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [البقرة: ١٣٠ - ١٣٢].

هذا الدين هو الذي سارت عليه جحافل الأنبياء من لدن أبينا آدم عليه السلام يدعون إلى إفراد الله سبحانه وتعالى بالعبادة، وإلى خلع الأنداد التي عُبدت من دون الله عز وجل بالظلم والبغي والطغيان.

وحقيقة دين الإسلام الذي بعث الله به نبينا محمدًا ﷺ، وأصله أنه يقوم على أمرين هما مدلول شهادتي أن لا إله إلا الله وأن محمدًا رسول الله .

أصل دين الإسلام ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد الله إلا بما شرع، لا بالأهواء والبدع

فشهادة أن لا إله إلا الله تقتضي أنه لا أحد يستحق العبادة إلا رب العزة والجلال سبحانه وتعالى.

وشهادة أن محمدًا رسول الله تقتضي تصديقه فيما أخبر، وطاعته فيما أمر، والانتهاء عما عنه نهى وزجر، وألا يعبد الله إلا بما شرع.

يقول الله سبحانه وتعالى : ﴿قُلْ يَاأَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَى كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِنْ دُونِ اللَّهِ فَإِنْ تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ٦٤].

هذه الكلمة التي هي كلمة عدل، ونَصَف تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم سواء يعني عدل، ونَصَف ما هي؟

﴿أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ﴾ [آل عمران: ٦٤]

أنه لا أحد يستحق أن يعبد إلا﴿الَّذِي خَلَقَ فَسَوَّى (٢) وَالَّذِي قَدَّرَ فَهَدَى (٣) وَالَّذِي أَخْرَجَ الْمَرْعَى (٤) فَجَعَلَهُ غُثَاءً أَحْوَى﴾ [الأعلى: ٢ - ٥]

أما من سواه، فهم آلهة باطلة زائفة لا تستحق شيئًا من العبودية .

فالعبودية محض حق رب البرية سبحانه وتعالى

والشهادتان هما أصل دين الإسلام.

وفي الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال : «بني الإسلام

على خمس، شهادة أن لا إله إلا الله، وأن محمدًا رسول الله، وإقام الصلاة، وإيتاء الزكاة، وصوم رمضان وحج البيت».

ورواه الإمام مسلم بلفظ: «بُنِيَ الْإِسْلَامُ عَلَى خَمْسَةٍ، عَلَى أَنْ يُوَحَّدَ اللهُ، وَإِقَامِ الصَّلَاةِ، وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ، وَصِيَامِ رَمَضَانَ، وَالْحَجِّ».

هذا اللفظ يفيد أن مدلول الشهادتين هما التوحيد، أما التوحيد الأول فهو المشتمل على توحيد الربوبية، وتوحيد الألوهية، وتوحيد الأسماء والصفات.

وأما التوحيد الثاني فهو توحيد الاتباع بألا يُتبع أحد إلا رسول الله ﷺ.

فتعال أخا الإسلام إلى واقع المسلمين اليوم إلا من رحم الله رب العالمين، وقس واقعهم على هذه الأصول فستجد إخلالًا واضحًا وتفريطًا لائحًا فأكثر المسلمين إلا من رحم الله تعالى كما قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَكْثَرُ النَّاسِ وَلَوْ حَرَصْتَ بِمُؤْمِنِينَ﴾ [يوسف: ١٠٣].

أكثر المسلمين جانبوا هذا الصراط المستقيم وهذا الأصل القويم، فإن الشرك منتشر، وإن أعلام الشرك ظاهرة مرتفعة بين أوساط المسلمين؛ فكم من أناس تعلقوا بالمقبورين، تعلقوا بمن يسمونهم بالصالحين تعلقوا بهم، وعبدوهم من دون الله سبحانه وتعالى، وعظّموا من يلقن الناس الشرك والكفر. يقول برعي السودان:

أستاذك يا فقير * كن عنده ذليل حقير
لهو أتبعك كالصغير * لا تميل أبدًا لغير
في كربك أندهو * بتغيثك جندهو

هذا يقوله عبد الرحيم البرعي الذي وُصف بأنه رجل الوقت، وأنه غوث زمانه، وغوث الزمان من مصطلحات الصوفية المبتدعة التي تتضمن الشرك و التي لا أصل لها في دين الإسلام.

دين الصوفية يقوم على إذلال المسلمين، وعلى جعلهم تابعين صاغرين.

أستاذك يا فقير، كن عنده ذليل حقير، لهو أتبع كالصغير، لا تميل أبدًا لغير، والأقبح من ذلك؛ في كربك أندهو.

يعني عندما تنزل بك المصائب، والملمات ناده بتغيثك جنده، أليس هذا هو الشرك، الذي بُعث الأنبياء لمحاربته!

وأما الأصل الثاني وهو ألا يعبد الله إلا بما شرع فحدث ولا حرج عن فشو البدع، وعن انتشارها، وعن حماتها الذين يجادلون عنها حتى طمست أنوار دين الإسلام، بدع فاشية، تخالف ما بعث به رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

واعلموا أن الإسلام الحق يدعو أصحابه إلى التسليم والانقياد للكتاب والسنة، ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النساء: ٦٥].

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخِيَرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا﴾ [الأحزاب: ٣٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ﴾ [النور: ٦٣].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا

الرَّسُولَ وَأُولِي الْأَمْرِ مِنْكُمْ فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ذَلِكَ خَيْرٌ وَأَحْسَنُ تَأْوِيلًا﴾ [النساء: ٥٩].

هذه الأصول العظام التي فيها الطمأنينة والهداية قد شُوهت وحوربت على أيدي دعاة الباطل، وعلى أيدي الحركات والجماعات التي تدعى بأنها إسلامية، تلك الحركات والجماعات التي أعمى حب السلطة أبصارها فتركت دين الله، تركت توحيد الله، تركت سنة رسول الله، وعملت على مسايرة الناس، لأنها تريد حشدهم عند الثورة على الحكام، وفي صناديق الاقتراع.

فغشّت المسلمين، وأبقتهم على ضلالهم، وانحرافهم، ففاقد الشيء لا يعطيه، والله المستعان!

الخطبة الثانية

إخوة الإسلام إن هذه الغربة التي يحياها أهل السنة بين أهلهم غربة عاشها رسول الله ﷺ والزمرة الطيبة من أصحابه في أول عهد الإسلام، كم من أصوات تعلو منكرة على أهل السنة بأنهم جاءوا بدين جديد، وأنهم خالفوا المألوف، والمعتاد فعلى أهل السنة ألا يبتأسوا، ولا يحزنوا فإنها ضريبة الثبات على طريق نبينا محمد ﷺ.

ألم يقل رسول الله ﷺ فيما أخرجه الإمام مسلم عن أبي هريرة قال رسول الله ﷺ : «بَدَأَ الْإِسْلَامُ غَرِيبًا، وَسَيَعُودُ كَمَا بَدَأَ غَرِيبًا، فَطُوبَى لِلْغُرَبَاءِ».

طوبى للغرباء، من هم الغرباء؟

أخرج الإمام أحمد وصححه الإمام الألباني عن عبد الله بن عمرو بن

العاص ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ ذات يوم ونحن عنده : «طوبى للغرباء»، فقالوا : ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال : «ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

النبي ﷺ يبشر الغرباء من أمته، أولئك الذين يعضون على السنة بالنواجذ، أولئك الذين يتناوشهم أهل الباطل من كل حدب وصوب طوبى للغرباء.

قيل: ومن الغرباء يا رسول الله؟ قال: «ناس صالحون قليل في ناس سوء كثير من يعصيهم أكثر ممن يطيعهم».

علامتهم أن الناس يعصونهم، وأن الناس يحاربونهم، وأن الناس ينكرون عليهم

الثبات، الثبات يا أهل السنة، فوالله إنها لساعات قلائل تنقضي، فإن كنت على سنة رسول الله ﷺ رحت إلى روح وريحان، وإلى جوار رب غير غضبان.

والنبي ﷺ أخبر كما ذكرني أحد الفضلاء أخبر النبي ﷺ بأنه في آخر الزمان ينتشر الجهل، ويرفع العلم، وهذا من أسباب طمس معالم هذا الدين.

في الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ أن النبي ﷺ قال: « من أشراط الساعة أن يرفع العلم، وأن يثبت الجهل» وفي لفظ: «أن يظهر الجهل».

وفي الصحيحين من حديث ابن مسعود، وأبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن بين يدي الساعة أيامًا ينزل فيها الجهل، ويرفع فيها العلم، ويكثر فيها الهرج» والهرج القتل، وفي لفظ أحمد «يفشو فيها

الجهل».

رفع العلم برفع حملته كما جاء في الصحيحين أن النبي ﷺ قال: «إن الله لا يقبض العلم انتزاعًا ينتزعه من صدور العباد، ولكن يقبض العلم بقبض العلماء حتى إذا لم يبقِ عالمًا اتخذ الناس رؤوسًا جهالًا فسئلوا فافتوا بغير علم فضلوا وأضلوا» وفي لفظ: «يفتون برأيهم فيضلون، ويضلون».

موت العلماء ثلمة في الإسلام لا تسد، ثم يظهر دعاة الباطل ممن يخرجون اليوم على القنوات الفضائية يضللون المسلمين باتباع الشبهات، وبإثارة الأغاليط والترهات، وأهل الحق على الحق ثابتون، يسيرون على هدي رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، وينتظرون الفرج والنصر من رب العزة والجلال.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يعفو عنا، وأن يثبتنا على دينه، وأن يوفقنا للثبات على سنة رسوله ﷺ.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يفرج عن أهلنا في سوريا، وفي العراق، وفي بورما.

أسال الله عز وجل أن يفرج عن أولئك الذين التحفوا التراب وأصابهم البرد في دمشق الشام وفي غيرها من بلاد الشام، وأن يطعم جائعهم، وأن يكسوا عاريهم، وأن يغيث ملهوفهم إنه رب العالمين، وبارك الله فيكم!

الرحمة المهداة

معاشر المسلمين، فعنوان هذا الدين، وعنوان هذه الرسالة العظيمة التي بعث الله عز وجل بها نبينا محمدًا ﷺ، هو ما بينه ربنا في كتابه الكريم حيث قال: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا رَحْمَةً لِلْعَالَمِينَ﴾ [الأنبياء: ١٠٧].

عنوان دعوة نبينا ﷺ هو الرحمة التي من تلمسها في ثنايا هذه الشريعة وجدها ظاهرة للعيان، وقد ثبت عند ابن سعد في الطبقات، وذكره الإمام الألباني رحمه الله تعالى في سلسلة الأحاديث الصحيحة أن النبي ﷺ قال: «يا أيها الناس، إنما أنا رحمة مهداة».

فالنبي ﷺ رحمة أهداها الله سبحانه وتعالى لجميع البشرية، وأعظم الناس انتفاعًا بهذه الرحمة المؤمنون؛ لأنهم قبلوا هذه الرحمة، وعملوا بها، وإن كان لجميع المخلوقات حتى الكفار، وإن كان لجميع المخلوقات حظ، ونصيب من رحمة النبي صلى الله عليه وآله سلم.

انتفع بهذه الرحمة المؤمنون فكانت رحمته ﷺ بالمؤمنين خاصة، وإن كانت الرحمة عامة قال سبحانه وتعالى: ﴿لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنْفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ﴾ [التوبة: ١٢٨].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ﴾ [آل عمران: ١٥٩] رحمته ﷺ بالمخلوقات جميعًا أمر لا تخطئه عينان، ولقد ندب النبي ﷺ الناس إلى الرحمة، والاتصاف بها لمّا جعل من طرق نيل رحمة الله أن ترحم غيرك.

في الصحيحين عن أبي هريرة - رضي الله عنه - أن النبي ﷺ قَبَّلَ الحَسَنَ بْنَ

عَلِيٍّ ﷺ، وَكان عِنْدَهُ الأَقْرَعُ بْنُ حَابِس، فَقَالَ الأَقْرَعُ بن حابس: إن لِي عَشَرَةً مِنَ الوَلَدِ مَا قَبَّلْتُ مِنْهُمْ أحَدًا قط، - فَقَالَ النبي ﷺ: «مَنْ لا يَرْحَمْ لاَ يُرْحَمْ».

من أراد الرحمة من عند رب العزة والجلال فعليه أن يرحم، وأخرج الإمام أبو داوود ،وغيره وهو حديث صحيح أن النبي ﷺ، قال: «الراحمون يرحمهم الرحمن، ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء ».

من اتصف بصفة، وخلق الرحمة فإن الله عز وجل يرحمه «الراحمون يرحمهم الرحمن ارحموا من في الأرض» من اسم موصول يفيد العموم فالرحمة عامة لجميع المخلوقات «ارحموا من في الأرض يرحمكم من في السماء» والذي في السماء هو ربنا سبحانه وتعالى.

وقد تمثلت رحمة النبي ﷺ في جوانب عديدة، ومن أعظم الجوانب التي ظهرت فيها رحمة سيد الخلق نبينا محمدٍ ﷺ من أعظم الجوانب قيامه ﷺ بتحذير الأمة من أسباب الدخول في النيران

النبي ﷺ حذر، وأنذر، وبين للأمة أن أعظم سبب لدخول النار هو الإشراك بالله تعالى.

الله سبحانه وتعالى يقول في كتابه الكريم: ﴿إِنَّهُ مَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَقَدْ حَرَّمَ اللَّهُ عَلَيْهِ الْجَنَّةَ وَمَأْوَاهُ النَّارُ وَمَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ أَنْصَارٍ﴾ [المائدة: ٧٢] ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [الزمر: ٦٥] بين ﷺ، وحذر من الشرك الذي هو عبادة غير الله معه.

فمن دعا غير الله، أو استغاث بغير الله، أو نادى غير الله، أو توكل على

غير الله، أو طاف بالقباب، والأضرحة فإنه واقع أقبح ذنب كما قال عز وجل : ﴿يَا بُنَيَّ لَا تُشْرِكْ بِاللَّهِ إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ﴾ [لقمان: ١٣، ١٤].

وأي ظلم أعظم من أن يعترف العبد بأن الذي خلقه هو الله، وأن الذي أنعم عليه هو الله وأن المدبر للأمر هو الله ومع ذلك يصرف محض حق الله عز وجل، إلى غيره حينما يستغيث بغير الله، وينادي غير الله، والله عز وجل يقول في كتابه الكريم مبينًا عظيم ضلال المشركين: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

النبي ﷺ، تمثلت رسالته، وظهرت دعوته بهذه الرحمة الغامرة، ولهذا فإن الذين يتهمون رسول الله ﷺ بأن دينه دين قسوة، وعدم رحمة فإنما أوتوا من جهة أنهم لم يدرسوا هذه الشريعة، ولم يتعرفوا على هذا الدين، والله المستعان .

الخطبة الثانية

إخوة الايمان هذه نماذج مضيئة، وهذه أمثلة تقوم في وجه الزمان تشهد للنبي ﷺ، بأنه كان أعظم البشر رحمة صلى الله عليه وآله سلم.

وهذه النماذج، والأمثلة فيها رد على من يعملون على تشويه صورة الإسلام، وعلى بعث الرسائل المسيئة عن هذه الشريعة العظيمة من ناحية استغلالهم لصنائع تنظيم داعش ذلكم التنظيم التكفيري المفسد، والمنحرف هذا التنظيم الذي عمل على تشويه صورة الإسلام.

أخرج الإمام أبو داوود، وغيره، وصححه الإمام الألباني عن عبد الله بن

جعفر رضي الله تعالى عنهما قال: «دخل النبي ﷺ حائطًا لرجل من الأنصار فإذا جمل فلما رأى الجمل رسول الله ﷺ حن، وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ لما دخل النبي ﷺ هذا البستان بكى الجمل، بكى الجمل، وشكى إلى رسول الله ﷺ.

أنه علم أن هذا أعظم الناس رحمة فحنّ، وذرفت عيناه فأتاه النبي ﷺ فمسح على ذفراه، ثم قال: من رب هذا الجمل؟ لمن هذا الجمل؟ فجاء فتى من الأنصار فقال: لي يا رسول الله فقال ﷺ: «أفلا تتقي الله في هذه البهيمة التي ملكك الله إياها فإنه شكا لي أنك تجيعه، وتدئبه فإنه شكى لي أنك تجيعه وتدئبه» لا تطعمه طعامًا كافيا، ومع ذلك تتعبه في العمل.

وثبت عند أبي داوود، وغيره من حديث عبد الرحمن بن عبد الله عن أبيه قال: كنا في سفرة مع رسول الله ﷺ، فانطلق النبي ﷺ لحاجته قال: فرأينا حمرة لها فرخان، الحمرة نوع من الطيور كالعصفور فرأينا حمرة معها فرخان فأخذنا فرخيها فجعلت تفرش فجاء النبي ﷺ وقال: «من فجع هذه بولدها؟ ردوا إليها ولدها» هذه الحمرة لما رأت رسول الله ﷺ، جاءت تفرش ترفرف قرب الأرض تتعرض لرسول الله ﷺ، فقال: «من فجع هذه بولدها ردوا إليها ولدها».

وفي صحيح البخاري «أن النبي ﷺ، كان يخطب الجمعة عند جذع شجرة، أو نخلة فصنع له المنبر فلما اعتلاه في الخطبة التي بعدها بكى هذا الجذع، وبكى كبكاء الصبي فنزل نبينا الرحيم ﷺ،والذي كان يخطب الناس فقطع خطبته، ونزل حتى ضم هذه الشجرة فجعلت تسكن كما يسكن الصبي

قال أصحاب رسول الله ﷺ: كانت تبكي لأنها فقدت ما كانت تسمع من الذكر عندها.

تأمل رحمة رسول الله ﷺ، وتأمل هذه المعجزة بكى الجذع كما يبكي الصبي فنزل رسول الله ﷺ رحمة به، وضمه حتى سكن كما يسكن الصبي.

أسأل الله أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا للتخلق بأخلاق الإسلام.

وأسأل الله عز وجل أن يرحم موتى المسلمين اللهم أرحم موتى المسلمين، اللهم اجعل لهم منزلًا حسنًا عندك يا ربنا وإلهانا، اللهم فرج عن المسلمين في العراق فرج عن أهل السنة في العراق، وفرج عن أهل السنة في سوريا وفي كل مكان وبارك الله فيكم!

وجاهدوا في الله حق جهاده

الفرق بين الجهاد والإفساد

يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ هُوَ مَوْلَاكُمْ فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

يخاطب الله سبحانه وتعالى عباده المسلمين المؤمنين آمرًا لهم أن يجاهدوا فيه حق الجهاد ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨].

وهذا الأمر بالجهاد موجه لجميع الأمة لا يخرج عنه أحد، ولهذا قال بعض المفسرين: ﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] اعملوا لله حق عمله، واعبدوه حق عبادته.

وقال بعضهم: حق الجهاد أن يجاهد العبد نفسه، والهوى.

وقال ابن القيم رحمه الله تعالى كلامًا معناه: أن أصل الجهاد هو أن يجاهد العبد الشيطان، والهوى فإنه إذا وفق للنصرة على النفس، وما لها من إرادات، وما لها من ميل إلى الشهوات، والمحرمات، ووفق إلى جهاد الشيطان الذي لا يزال يوسوس للإنسان، ويأمره بالمنكرات

إذا وفق إلى النصرة على الشيطان، وعلى النفس فإنه يكون له بذلك عدة، وقوة يستطيع أن يجاهد بها العدو الخارجي.

وذلك أن جهاد المشركين، وجهاد الكافرين من أحب الأعمال إلى الله رب العالمين لكن لا يقوم بذلك على الوجه الذي يحبه الله، والذي يثمر

نصرًا، وظفرًا، وتوفيقًا إلا من وفق إلى جهاد نفسه، وهو جهاد الطاعة، ولهذا جاء في مسند الإمام أحمد، وصححه الإمام الألباني.

قال رسول الله ﷺ: «المجاهد من جاهد نفسه في طاعة الله».

فأنت تحتاج يا عبد الله إلى أن تقبل على نفسك، وأن تفتش عن مواضع النقص، والقصور، والسوء فيها، وأن تعمل على التخلص من ذلك، فكم لنا من ذنوب. وكم لنا من معاصٍ، وكم لنا من منكرات!

لابد أن نقف مع أنفسنا وقفة حازمة، وقفة تكون سببًا للمسارعة إلى التوبة، والإنابة، وإلى جهاد هذه النفس ﴿وَمَا أُبَرِّئُ نَفْسِي إِنَّ النَّفْسَ لَأَمَّارَةٌ بِالسُّوءِ إِلَّا مَا رَحِمَ رَبِّي﴾ [يوسف: ٥٣].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] استفرغوا الوسع، والطاقة في جهاد ما يبغضه الله سبحانه وتعالى وما أمر بجهاده فالأمر يحتاج بالنسبة إلى دينك أن تكون جادًا، وأن تكون قويًا حازمًا ﴿يَا يَحْيَى خُذِ الْكِتَابَ بِقُوَّةٍ﴾ [مريم: ١٢] ﴿وَالَّذِينَ يُمَسِّكُونَ بِالْكِتَابِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ﴾ [الأعراف: ١٧٠] ﴿وَسَارِعُوا إِلَى مَغْفِرَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ وَجَنَّةٍ عَرْضُهَا السَّمَاوَاتُ وَالْأَرْضُ أُعِدَّتْ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ١٣٣].

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] نسب الله عز وجل هذا الجهاد إليه فلابد أن يكون على وفق شرعه فأي قتال ليس قائمًا على الإخلاص لله، وعلى المتابعة لرسول الله ﷺ، فليس جهادًا، بل هو إفساد، بل هو إضلال، بل هو تخريب لهذا الشرع.

ومن أمثلة ذلك ما تفعله بعض الجماعات المبتدعة، هذه الجماعات التي غرت كثيرًا من شباب المسلمين فإن كثيرًا من شباب المسلمين نحسبهم

على غيرة على هذا الدين، وعلى حماسة لنصرة هذا الدين

كيف، وهم مستعدون ليبذلوا نفوسهم رخيصة لنصرة هذا الدين، ولكنهم ضلوا الطريق بسبب دعايات هذه الجماعات المبتدعة، ضلوا الطريق.

إن ما يطلق عليه تنظيم القاعدة جهادًا ليس جهادًا فوالله ما وجدت منه الأمة إلا شرًا، وإلا فسادا، وإلا دمارًا كما يعترف بذلك الناصحون.

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] سبحانه وتعالى شرف هذه الأمة، وكرمها، ورفع قدرها ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ﴾ [آل عمران: ١١٠] لكن بماذا؟ هل بالدعاوى، هل بالشعارات، هل بأن يرفع شعار الإسلام، ويجعل ستارًا، ومن تحته يتلاعب بالدين لأجل مصالح النفس؟

أبدًا، كرم الله هذه الأمة لقيامها بهذا الدين ﴿كُنْتُمْ خَيْرَ أُمَّةٍ أُخْرِجَتْ لِلنَّاسِ تَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَتَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَتُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ﴾ [آل عمران: ١١٠].

بهذه الأسباب شرف الله هذه الأمة، يا عبد الله، إن الله اجتباك، وجعلك من أمة خير رسله جعلك من أمة محمد ﷺ، جعلك من الأمة التي أنزل عليها آخر كتبه، وأشرف كتبه القرآن فعليك أن تعرف قدر هذه النعمة، وأن تشكر الله عليها.

﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] اصطفاكم، اختاركم.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨] فلك الحمد يا رب، لك الحمد على هذه الشريعة الحنيفية السمحة التي ليس فيها آصار

ليس فيها أغلال، ليس فيها تشديدات الأمم السابقة كان من أذنب لا يتاب عليه إلا بأن يقتل نفسه كان من أصابته نجاسة قرض لحمه، قطع لحمه رفع الله عنا جميع هذه الآصار ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ﴾ [الحج: ٧٨].

وفي مسند الإمام أحمد، وصححه الإمام الألباني يقول النبي ﷺ: «ولكني بعثت بحنيفية سمحة».

قال ابن القيم رحمه الله تعالى: هي حنيفية في التوحيد، سمحة في العمل فما شرعه الله لنا سهل تطيقه أنفسنا.

ما أوجب الله علينا مائة صلاة، ولا أوجب علينا صوم نصف السنة، ولا أوجب الله علينا ما يصعب ويشتد، أوجب علينا واجبات بمقدورنا بسهولة أن نؤديها، وهي قرة العيون، وصلاح القلوب، وغذاء الأنفس، ومع ذلك زادنا سبحانه وتعالى فضلًا بأن خفف عنا عند طروء العذر.

فالمسافر يصلي الرباعية ركعتين، ولا تجب عليه الجماعة في قول بعض أهل العلم، ولا يجب عليه صوم رمضان، والمريض لا يجب عليه الصوم، ويجوز له إن عجز، أو شق عليه أن يصلي قاعدًا

رحمات من رب العزة سبحانه وتعالى ﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ﴾ [الحج: ٧٨] ملة، انتصبت ملة بفعل محذوف تقديره الزموا ملة أبيكم إبراهيم فما هي ملة إبراهيم عليه السلام؟

إبراهيم إمام الحنفاء، وأبو الأنبياء إبراهيم الذي يحبه أهل الحق إبراهيم الذي دعا إلى الله سبحانه، وإلى توحيده دعا قومه أهل الإشراك، وكان وحيدًا فما تقهقر، ولا ضعف، بل صدع بالحق حتى أوقدوا النيران ليلقوه

فيها لينتصروا لألهتهم فجعلها الله سبحانه وتعالى عليه بردًا، وسلامًا.

ملة إبراهيم كما ذكرنا سابقًا هي توحيد الله، وافراده بالعبادة لا كما يحاول أن يحرّف ملة إبراهيم أمثال أبي محمد المقدسي، عرّاب التكفير أحد منظري تنظيم القاعدة الذي صنف كتابا بعنوان «ملة إبراهيم» وأراد بها تكفير الحكام، وأراد بها الخروج على الحكام، وخروج هؤلاء التكفيرين ما جنت منه الأمة إلا الشرور ﴿فَاعْتَبِرُوا يَا أُولِي الْأَبْصَارِ﴾ [الحشر: ٢].

ملة إبراهيم التوحيد قال تعالى: ﴿ قُلْ صَدَقَ اللَّهُ فَاتَّبِعُوا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [آل عمران: ٩٥].

وقال تعالى: ﴿وَقَالُوا كُونُوا هُودًا أَوْ نَصَارَى تَهْتَدُوا قُلْ بَلْ مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا وَمَا كَانَ مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [البقرة: ١٣٥]

فالأصل في اتباع ملة إبراهيم التوحيد ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ إِنَّنِي بَرَاءٌ مِمَّا تَعْبُدُونَ (٢٦) إِلَّا الَّذِي فَطَرَنِي فَإِنَّهُ سَيَهْدِينِ (٢٧) وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ [الزخرف: ٢٦ - ٢٨].

التوحيد افراد الله بالعبادة، الشرك ضارب بأطنابه في أمة الإسلام كم من مسلم ينادي، ويستغيث بغير الله، كم من مسلم يستجير بالمقبورين، كم من مسلم يعكف على القبور!

هذا دين الله نحن لا نأتي بشيء من جيوبنا هذا كتاب الله، هذه سنة رسول الله، هذه سيرة النبي ﷺ، الذي مكث زمنا من حياته، وهو يدعو إلى توحيد الله، وإلى افراده بالعبادة.

أسال الله سبحانه و تعالى أن يهدينا سواء السبيل.

الخطبة الثانية

﴿وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ حَقَّ جِهَادِهِ﴾ [الحج: ٧٨] ﴿هُوَ اجْتَبَاكُمْ وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨].

الأصوب عند المحققين من علماء التفسير أن هذا الضمير ﴿هُوَ سَمَّاكُمُ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا﴾ [الحج: ٧٨] راجع إلى رب العزة والجلال، فالله سبحانه وتعالى نوه بهذه الأمة، ورفع ذكرها في الكتب السابقة سماها في الكتب السابقة بالمسلمين كما سماها في هذا الكتاب بالمسلمين.

الله سبحانه وتعالى سمانا بهذا الاسم المسلمين، وهو اسم يحمل في مدلوله، وفي طياته معنى الاستسلام لله، معنى الانقياد لشرع الله، وهذا الاسم اسم جامع يجمع كل من انتسب إلى هذه الشرعة السمحاء فلا ينبغي أن نحدث بدلًا عنه اسمًا نتسمى به هذا فيما يتعلق بالدين.

وقد أكد النبي ﷺ، هذه الحقيقة فيما رواه النسائي في السنن الكبرى عن الحارث الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ، قال: «مَنْ دَعَا بِدَعْوَةِ الْجَاهِلِيَّةِ فَإِنَّهُ مِنْ جثا جَهَنَّمَ، قَالَ رَجُلٌ: يَا رَسُولَ اللَّهِ! وَإِنْ صَامَ وَصَلَّى؟ قَالَ: نَعَمْ، فَادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ الَّتِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

حذر النبي ﷺ، من الدعاء بدعوى الجاهلية من قبيل التعصب، والتحزب لبعض الاسماء، أو الأجناس، أو القبائل الذي يفضي إلى تفريق المسلمين، وإلى تشتيت شملهم، وإلى جعلهم أعداء يكيد بعضهم لبعض كما هو للأسف واقع المسلمين اليوم.

وأرشدهم إلى أن يكتفوا بالاسم الذي سماهم الله به «ادْعُوا بِدَعْوَى اللَّهِ

الَّتِي سَمَّاكُمْ بِهَا الْمُسْلِمِينَ الْمُؤْمِنِينَ عِبَادَ اللَّهِ».

قال ابن القيم: فارشدهم رسول الله ﷺ، إلى الدعوة الجامعة بخلاف المفرقة؛ كالفلانية، والفلانية.

تفرقت أمة الإسلام، أمة الإسلام التي تعبد رب الأنام قائلة لا إله إلا الله، والتي تقول أشهد أن محمدًا رسول الله، الذين يصلون متجهين إلى قبلة واحدة تفرقوا، صاروا فرقًا، أحزابًا، شيعًا متحاربين يكيد بعضهم لبعض، يطعن بعضهم في خاصرة بعض لأي شيءٍ كل هذا ؟

الله تعالى يقول: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢]

ذروها ذميمة

ذروها فإن الأمة تمزقت بسبب هذه الحزبية، وهذا التفرق، وهذه العصبية البغيضة، وهذا الكيد، والدس، والحسد، والحقد، والحرب، على أي شيء هذا.

وليست السلفية تفريقًا للمسلمين، فالسلفية دين الله، السلفية هي الإسلام المصفى، والانتساب إلى السلفية، انتساب حسن محمود باتفاق المسلمين، أما الذين جعلوا السلفية حزبًا يدخلون من يشاؤون ، يدخلون من أرادوا، ويخرجون من لم يريدوا، الذين جعلوا السلفية حكرًا عليهم، وبعضهم من صغار السن، وبعضهم ممن لم يرسخ قدمه في العلم ضربوا السلفية ضربة شديدة فرقوا السلفيين جعلوا السلفية على غرار الأحزاب هذا خرج من السلفية، هذا مبتدع، وهذا، وهذا، هذا تشوية للسلفية.

﴿وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ مِلَّةَ أَبِيكُمْ إِبْرَاهِيمَ هُوَ سَمَّاكُمُ

الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ وَفِي هَذَا لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ وَتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [الحج: ٧٨].

سيشهد النبي ﷺ، يوم القيامة أنه بلغنا البلاغ المبين، وأنه نصح، وما قصر ﷺ، ﴿فَكَيْفَ إِذَا جِئْنَا مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ بِشَهِيدٍ وَجِئْنَا بِكَ عَلَى هَؤُلَاءِ شَهِيدًا﴾ [النساء: ٤١].

ويقول الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ﴾ [البقرة: ١٤٣] فمن أجل مقامات هذه الأمة أنها تشهد يوم القيامة للرسل بأن الرسل بلغوا أممهم، والشاهد لابد أن يكون عدلًا فكم لهذه الأمة من خيرات إن استقامت على دين الله ﴿لِتَكُونُوا شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا﴾ [البقرة: ١٤٣].

﴿فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الحج: ٧٨] اشكروا الله على هذه النعمة بإقامة الصلاة على الوجه الذي يحبه الله بأن تكون موافقة لسنة النبي ﷺ، وأن تكون مريدًا بها وجه الله، وأن تكون خاشعًا فيها ﴿وَآتُوا الزَّكَاةَ﴾ [الحج: ٧٨] أخرجوا زكاة أموالكم حتى تطيب أموالكم، وأنفسكم ﴿وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ﴾ [النساء: ١٤٦].

قال بعض علماء التفسير: تمسكوا بالكتاب، والسنة.

﴿هُوَ مَوْلَاكُمْ﴾ [الحج: ٧٨] أي لا مولى لكم غيره

توحيد هذا توحيد.

فالنصر يلجأ فيه لله سبحانه وتعالى بالاستقامة على دينه ليس هناك نصر من غير الله عز وجل ﴿إِنْ يَنْصُرْكُمُ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ

﴿فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ وَعَلَى اللَّهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُؤْمِنُونَ﴾ [آل عمران: ١٦٠] النصر من عند الله فلا يستجلب من محرّف، ولا من مبتدع، ولا من طاغوت، يستجلب النصر من الله سبحانه وتعالى بالاستقامة على دينه ﴿فَنِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ﴾ [الحج: ٧٨].

أسأل الله عز جل أن يصلح قلوبنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يعفو عنا ويوفقنا للاستقامة على دينه، وشرعه.

وأسأل الله أن يوفق المسلمين للرجوع إلى دينهم، وأن يوفقهم ليقيموا علم الجهاد، وأن ينتصروا لإخوانهم.

وأسأل الله عز وجل أن يفرج عن المسلمين.

أسأل الله سبحانه أن يفرج عن أهل السنة بالعراق الذين استبيحت دماؤهم، والذين يقتلون الآن على أيدي الرافضة على أيدي الشيعة قبحهم الله، وأسأل الله أن يفرج عن أهل سوريا، وهو المستعان، وبارك الله فيكم!

الفرار إلى الله من سخطه

أخرج الإمام مسلم رحمه الله تعالى في صحيحه عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ وَهُوَ يَقُولُ: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

وأخرج الإمام أحمد، وأصحاب السنن، وصححه الإمام الألباني عن أمير المؤمنين، الخليفة الراشد علي بن أبي طالب، رضي الله تعالى عنه قال: كان رسول الله ﷺ يقول في آخر وتره قبل السلام أو بعده: «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

اشتمل هذان الحديثان على فوائد عظيمة، وعلى دروس عقدية، ومنهجية وتربوية كبيرة

فمن جملة فوائد هذين الحديثين، استحباب الدعاء بهذا الدعاء المأثور عن رسول الله ﷺ في السجود، وفي آخر الوتر.

قال الإمام الألباني رحمه الله تعالى عن حديث علي بن أبي طالب: كان رسول الله ﷺ، يقول في آخر وتره قال الإمام الألباني رحمه الله أن هذا الدعاء يحتمل أن يكون قبل السلام من الوتر، ويحتمل أن يكون بعد السلام منه

ومن فوائد الحديثين اللذين ذكرناهما ما كان عليه رسول الله ﷺ، من

الاجتهاد في عبادة ربه، ومن قيام الليل الذي هو دأب الصالحين، وشعار الفائزين.

فقدت أمنا عائشة رضي الله عنها رسول الله ﷺ ليلة من الفراش، ولما كانت أمنا عائشة رضي الله عنها قد شرفها الله عز وجل، بأن تكون زوجة نبينا ﷺ، في الدنيا والآخرة، وهي له محبة جعلت تلتمس رسول الله ﷺ.

قال: بعض الشراح لعلها التمسته خوفًا عليه ﷺ، فوقعت يدها على بطن قدميه، وهما منصوبتان يعني، وهو ساجد ﷺ، يناجي ربه.

ولقد كان النبي ﷺ، في الاجتهاد في عبادة الله، وفي الاجتهاد في قيام الليل كان رسول الله ﷺ، عجبًا من العجب.

في الصحيحين عن أمنا عائشة رضي الله عنها قالت: «كان رسول الله ﷺ يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فيقال له يا رسول الله أنت، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر فكان يجيب ﷺ بقوله: «أفلا أكون عبدًا شكورًا».

تأمل في هذه العبادة العظيمة التي يخضع لها فإن العبد كلما كان أعرف بالله، وكان أشد حبًا لله كان أشد اجتهادًا في عبادة الله.

كان يقوم من الليل حتى تتفطر قدماه فتقول له أمنا عائشة رضي الله عنها أنت يا رسول الله، وقد غفر الله لك ما تقدم من ذنبك، وما تأخر.

وتحت هذا الكلام من أمنا عائشة رضي الله عنها أن أمثالنا ممن ليس عنده موثق من الله بغفران ذنوبه، أن أمثالنا ممن يعصي الله سبحانه وتعالى، ويرتكب منهياته، أن أمثالنا يحتاج إلى أن يجتهد في قيام الليل عسى الله عز وجل

أن يغفر ذنبه، وأن يتجاوز عن خطيئته.

قيام الليل من أحب العبادات إلى الله سبحانه وتعالى، وقد أخبر الله عن الصالحين فقال: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا﴾ [السجدة: ١٦] هؤلاء الذين تجافت جنوبهم عن المضاجع لما يجدونه من اللذة، والراحة في قيام الليل وصفهم الله عز وجل بأنهم يدعونه خوفًا، وطمعًا خوفًا منه لما عندهم من السيئات، وطمعًا في رحمته فإنه أرحم الراحمين.

وقال الله سبحانه وتعالى عن أهل الجنة: ﴿كَانُوا قَلِيلًا مِنَ اللَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ (١٧) وَبِالْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ﴾ [الذاريات: ١٧، ١٨] في وقت السحر الذي ينزل فيه ربنا سبحانه إلى سماء الدنيا مناديًا عباده «هل من سائل فأعطيه، هل من داع فأجيبه، هل من مستغفر فأستغفر له».

لما جاء السحر تذكروا ذنوبهم، وتذكروا خطورة الذنوب في الآخرة فجعلوا يستغفرون الله سبحانه وتعالى من هذه الذنوب.

ومن فوائد الحديث: ما كان عليه النبي ﷺ، من دعاء ربه سبحانه، ومن الانطراح بين يديه فالنبي ﷺ، داع وليس مدعواً أفضل الخلق ﷺ، كان يفزع إلى الله يدعوه، ويناجيه؛ لأن الدعاء من أجل العبادات التي لا تكون إلا لرب الأرض، والسموات.

وهذا دين الله

دين الله المؤسس على توحيده، وعلى إفراده بالعبادة ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ﴾ [الأنعام: ٧١] أندعو من دون الله ما لا ينفع، ولا يضر وهذه صفة كل من

سوى الله أنه لا ينفع، ولا يضر، ونرد على أعقابنا ننتكس، ونرجع من التوحيد إلى الشرك، إلى الكفر بعد أن هدانا الله، بعد أن من الله علينا بالتوحيد.

هذا رسول الله ﷺ، يستعيذ بالله عز وجل، ويدعو الله لا يدعو غيره فماذا يقول أولئك الذين تركوا الله الذي قال: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

كم من المسلمين من انصرفوا عن ربهم !

ودعوا غيره دعوا الموتى والمقبورين

ودعوا رسول الله ﷺ

وهؤلاء أضل الناس ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف ٥: ٦].

وفي هذا الحديث ما كان عليه النبي ﷺ، من الزهد في الدنيا، ومن ترك الترفة فيها.

تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ» كان النبي ﷺ وهو إذا شاء لتبعته جبال الدنيا ذهباً ينام على الفراش على الأرض.

وما صفة فراش رسول الله ﷺ؟

في الصحيحين «كان فراش رسول الله ﷺ، من أدم، حشوه ليف» كان فراش سيد الخلق ﷺ، من أدم جمع أديم، وهو الجلد المدبوغ

وكان ﷺ، يضجع على الحصير حتى يؤثر في جنبه لكنه ﷺ، متنعم في حياته لكون قلبه عامرًا بمحبة الله، زهد في هذه الدنيا، ولم يحرص على متاعها، ولم يطلب الترفه فيها، وهذه الدنيا لا يغترّ بها الصالحون

الموفق من جعل نظره فيما سيكون عليه بعد الموت، أما هذه الدنيا فإنها غرّت كثيرًا من الناس حتى جعلتهم في معسكر الأموات خاسرين

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل خير!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان هذا من الأدعية المأثورة عن رسول الله ﷺ «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ، وَبِمُعَافَاتِكَ مِنْ عُقُوبَتِكَ، وَأَعُوذُ بِكَ مِنْكَ لَا أُحْصِي ثَنَاءً عَلَيْكَ أَنْتَ كَمَا أَثْنَيْتَ عَلَى نَفْسِكَ».

هذا الحديث يُفسر به قول الله تعالى : ﴿ فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُمْ مِنْهُ نَذِيرٌ مُبِينٌ ﴾ [الذاريات: ٥٠].

يا عباد الله ربنا عز وجل يأمركم بالفرار إليه سبحانه وتعالى، الفرار يعني الهرب من شيء تخافه إلى ما تأمنه، كل شيء تخافه كل أحد تخافه فإنك تفر منه إلا الله فإنك تخافه وتفر إليه سبحانه وتعالى، ولا تجد أمنًا ولا سعادة إلا في الفرار إلى الله.

ففرار السعداء هو الفرار من الله إليه

وفرار الأشقياء هو الفرار من الله إلى غيره

﴿فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ﴾ [الذاريات: ٥٠] أي من كل ما يسخطه ويكره إلى ما يحبه ويرضاه.

فروا إلى الله من الكفر إلى التوحيد والإيمان

من الجهل إلى العلم

من المعصية إلى الطاعة

من الغفلة إلى الذكر

فروا إلى الله فإن الله توعد من يعصيه تأمل هذا الدعاء «اللهُمَّ أَعُوذُ بِرِضَاكَ مِنْ سَخَطِكَ» ورضاه وسخطه من صفاته وبمعافاتك من عقوبتك ومعافاته وعقوبته من أفعاله وبك منك

أعوذ برضاك من سخطك والسخط ضده الرضا والعقوبة ضدها المعصية، فلِمَ قال : اللهم إني أعوذ بك منك ؟

لأن الله سبحانه وتعالى ليس له ضد

ولهذا قال: «اللهم إني أعوذ بك منك».

من وقع في ذنب ومعصية فقد وقع في ما يسخطه الله

من وقع في ذنب ومعصية فقد وقع في ذنب يعاقب عليه الله

كم لنا من ذنوب كم لنا من معاصي كم لنا من تقصير! ﴿وَمَنْ يَعْصِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَيَتَعَدَّ حُدُودَهُ يُدْخِلْهُ نَارًا خَالِدًا فِيهَا وَلَهُ عَذَابٌ مُهِينٌ﴾ [النساء: ١٤] فالموفق يا إخوان يحذر الذنوب يحذر المعاصي.

خلِّ الذنوبَ صغيرَها وكبيرَها ذاكَ التقى
واصنع كماشٍ فوق أر ض الشوك يحذر ما يرى
لا تحقرن صغيرةً إن الجبالَ من الحصى

هذه الصغيرة قد علمها الله ﴿وَوُضِعَ الْكِتَابُ فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ مُشْفِقِينَ مِمَّا فِيهِ وَيَقُولُونَ يَا وَيْلَتَنَا مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً إِلَّا أَحْصَاهَا﴾ [الكهف:٤٩] لا إله إلا الله!

﴿وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا﴾ [الكهف: ٤٩].

ففر من الله سبحانه إليه فر من معصيته إلى التوبة والإنابة بين يديه سبحانه وتعالى.

ففي هذا الحديث تقول أمنا عائشة رضي الله عنها: «فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ فَالْتَمَسْتُهُ فَوَقَعَتْ يَدِي عَلَى بَطْنِ قَدَمَيْهِ وَهُوَ فِي الْمَسْجِدِ وَهُمَا مَنْصُوبَتَانِ».

قال الشيخ ابن عثيمين: احتج بهذا الحديث على أن السنة عند السجود أن تلصق القدمان لا أن يفرق بينهما؛ لأن القدمين لو كانتا مفرقتين لما وقعت اليد على بطنهما

وقعت يدي على بطن قدميه

القدمان عند السجود تكونان ملتصقتين هذا هدي رسول الله ﷺ.

«فَقَدْتُ رَسُولَ اللهِ ﷺ لَيْلَةً مِنَ الْفِرَاشِ».

قال كثير من علمائنا: هذا الحديث وغيره يُستدل به على أن الأصل والأفضل أن يكون للزوجين فراش واحد؛ لأنه من أسباب حصول المودة وبقائها إلا من عذر كمرض أو غيره وما ذُكر مما يُظن منافاته لهذا الخبر فله تأويل صحيح.

يشرع للمسلم المتزوج أن يضجع مع امرأته في فراش واحد إلا من عذر وصرح بذلك الإمام النووي رحمه الله تعالى.

فوائد هذا الحديث وهذا الذكر كثيرة لا تعد ولا تحصى، لكن هذا بعض ما تيسرمن فوائده.

أسال الله سبحانه أن يغفر ذنوبنا وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا

لتوبة نصوح.

وأسأل الله سبحانه وتعالى أن يبارك في من خدم بيت الله ويثمر ماله وأن يبارك من خدم الدعاة إلى الله ومن أطعم طلبة العلم ومن ساهم في ترحيلهم أسال الله أن يبارك في ماله وأن يزيده مالًا وفضلًا وخيرًا وأن يجزيه خيرًا وبارك الله فيكم.

حلاوة الإيمان

رقة القلوب

معاشر المسلمين فإن العبادة التي خلق الله عز وجل الجن، والإنس لأجلها كما قال سبحانه: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

هذه العبادة التي خلق الثقلان لأجلها ليست رسوما تؤدى، ولا صورًا مجردة تفعل.

العبادة لابد أن يتواطأ عليها الظاهر، والباطن، لابد لهذه العبادة حتى تقبل عند الله، وحتى تؤتي ثمارها لابد أن تبنى على إخلاص للملك المعبود، ولابد أن تصدر عن محبة لربنا سبحانه وتعالى، وهذه العبادات إذا فعلت على الوجه الذي يرضاه رب العزة والجلال أوجبت معاني إيمانية، وآثارًا روحية؛ حتى أن العبد إذا دخل فيها ود أن لم تنقضِ، ولم تنتهِ؛ لما يباشره، ويجده قلبه من اللذة والفرحة، والطمأنينة الغامرة، وإذا لم تجد هذه المعاني إذا لم تجد يا عبد الله هذه المعاني في قلبك فعليك أن تتهم قلبك.

ذكر ذلك شيخ الإسلام ابن تيميه رحمه الله فإنه ذكر أن العبد إذا أدى العبادة، ولم يجد لها وبها أُنساً برب العزة والجلال، وحلاوة في الإيمان فعليه أن يتهم قلبه ذلكم أن الله شكور لابد أن يثيبه على هذه العبادات إذا فعلت على الوجه الذي يحبه، و يرضاه سبحانه وتعالى.

يقول ربنا عز وجل: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ [النحل: ٩٧] هذا وعد الله لمن جمع بين صحة الاعتقاد، والتوحيد الخالص، وبين

الأعمال الصالحة أنه لابد أن يحيى حياة طيبة

وجماع الحياة الطيبة هي حياة القلب، وما يجده من فرح، وسرور، ولذة وانشراح صدر بهذه العبادة.

قال الله عز وجل: ﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢] يبين الله عز وجل الفرق الكبير بين من شرح صدره لهذا الدين فقلبه منشرح، موسع، منور فيه طمأنينة ولذة عظيمة.

﴿أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلْإِسْلَامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ﴾ [الزمر: ٢٢] هل يستوي هذا، ومن قسى قلبه؟ ﴿فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الزمر: ٢٢] فتوعد الله عز وجل أصحاب القلوب القاسية التي ليس فيها رقة، وليس فيها تلذذ وتأثر بكلام الله عز وجل، وحديث رسوله ﷺ.

وقد أخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «يَدْخُلُ الْجَنَّةَ أَقْوَامٌ أَفْئِدَتُهُمْ مِثْلُ أَفْئِدَةِ الطَّيْرِ» ذُكر في هذا الحديث وجوه من المعاني منها أن صفة من يدخل الجنة رقة قلوبهم، فقلوبهم رقيقة، خائفة، خاشعة، مطمئنة، مخبتة.

روى الإمام البخاري، ومسلم عن أنس بن مالك رضي الله تعالى عنه أن النبي ﷺ، قال: « ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ».

إن للإيمان حلاوة، ولذة عظيمة بحيث أن العبد يدخل في العبادة، وهو منشرح الصدر، وهو ملتذ ليس معرضا بقلبه عن ربه كيف، وهو أعظم حبيب عنده سبحانه وتعالى؛ ولهذا ثبت عند أبي داوود أن النبي

ﷺ، كان يقول لبلال: «يا بلال، ارحنا بالصلاة».

وثبت عن النبي ﷺ، أنه قال: «حُبِّبَ إِلَيَّ مِنَ الدُّنْيَا النِّسَاءُ وَالطِّيبُ وَجُعِلَتْ قُرَّةُ عَيْنِي فِي الصَّلَاة» فقرة عيون المحبين، وراحة المتقين في هذه الصلاة فقارن بين من كانت الصلاة قرة عينه، وراحة فؤاده، وبين من يدخل في الصلاة لا يعقل ما يقرأ، أو ما يُقرأ، ولا يجد في قلبه أنسًا، ولا خشوعًا، ولا طمأنينة، وإنما هو كالحمل الثقيل الذي يريد أن يتخلص منه.

«ثَلَاثٌ مَنْ كُنَّ فِيهِ وَجَدَ بِهِنَّ حَلَاوَةَ الْإِيمَانِ أن يكون الله، ورسوله أحب إليه مما سواهما، وأن يحب المرء لا يحبه إلا لله، وأن يكره أن يعود في الكفر بعد أن أنقذه الله منه كما يكره أن يقذف في النار».

أصحاب محمد ﷺ وجدوا لذة العبادة، وحلاوة الطاعة، والمناجاة وجدوا نصيبًا وافرًا من ذلك

تأمل يا عبد الله قصة خبيب بن عدي رضي الله عنه الذي أخذه المشركون ليقتلوه أخرجوه من الحرم؛ لأن من بقايا الدين الذي كانوا يعظمونه أن يعظموا الحرم، وألا يسفكوا فيه دمًا أخرجوا خبيبًا خارج الحرم، وهو يعلم أنه مقتول فسألهم أن يمكنوه أن يصلي ركعتين فصلى ركعتين يريد أن يكون آخر عهده بالدنيا مناجاة ربه، ومولاه سبحانه و تعالى، ثم قال: لولا أن تظنوا أنا ما بي جزع من الموت لأطلت وقال:

ولست أبالي حين أقتل مسلمًا ... على أي جنب كان لله مصرعي

وذلك في ذات الإله وإن يشأ ... يبارك على أوصال شلو ممزع

ذلك في ذات الإله.

والله يا عبد الله إن لم تراقب ربك، ومولاك وإن لم تجعل أعظم أمر في

حياتك أن تنال رضاه، ولو لم تذق حلاوة العبادة فاعلم أنك لست على خير.

في الصحيحين أن أنس بن النضر ﷺ، غاب عن وقعة بدر، ومعلوم أن النبي ﷺ، إنما خرج من المدينة يريد قافلة أبي سفيان لم يكن يريد ﷺ حربًا ولهذا لم يخرج معه إلا من كان جهازه حاضرًا.

غاب أنس بن النضر ﷺ عن غزوة بدر فلم يزل ذلك يؤثر في قلبه يقول: غبت عن أول لقاء، ومشهد قاتل فيه النبي ﷺ الكفار لئن أشهدني الله عز وجل قتال الكفار ليرين ما أصنع.

فلما كانت معركة أحد قاتل هذا الصحابي الجليل، واستبسل في الجهاد في سبيل الله، فلما انكشف أصحاب النبي ﷺ، قال: اللهم إني أعتذر إليك مما صنع هؤلاء؛ يريد الذين فروا، وانهزموا من أصحاب رسول الله ﷺ.

وأبرأ إليك مما صنع هؤلاء يريد المشركين، ثم تقدم

أتعلمون لماذا تقدم؟

تقدم حتى تفارق هذه الروح الجسد تقدم حتى ينال الشهادة ذلكم أن أعظم مطلوب عند أولئك الأخيار أن يموتوا في سبيل الملك الغفار سبحانه وتعالى.

والقوم قد انهزموا، والعدو قد استأسد تقدم متوجهًا إلى العدو لما كان يجده في قلبه من قوة الإيمان، ومن حلاوة الطاعة والعرفان فلقي سعد بن معاذ ﷺ فقال : يا سعد بن معاذ الجنة، والله إني لأجد ريحها دون أحد.

الله عز وجل إذا علم من بعض عباده إخلاصًا، وطاعة، وتوحيدًا، وإيمانًا، وانقيادًا واخباتًا ربما جعله يشم رائحة الجنة في الدنيا

والله إني لأجد ريح الجنة دون أحد، ثم تقدم قال سعد بن معاذ ﷺ: فوالله يا رسول الله ما استطعت ما صنع

وجدوا حلاوة الإيمان.

ولهذا قال شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله تعالى: إن في الدنيا جنة من لم يدخلها لم يدخل جنة الآخرة، وهي جنة وجود اللذة، والمحبة لرب العزة، والطمأنينة، والأنس بالله رب العالمين، وكان بعضهم يقول مساكين أهل الدنيا خرجوا منها ولم يذوقوا أفضل ما فيها قيل، وما أفضل ما فيها؟ قال: محبة الله، والأنس به، والشوق إليه، ولذة مناجاته.

وفي صحيح مسلم يقول النبي ﷺ كما في حديث العباس بن عبد المطلب ﷺ: «ذاق طعم الإيمان من رضي بالله ربا، وبالإسلام دينًا، وبمحمد ﷺ نبيًا ورسولًا».

«ذاق طعم الإيمان» للإيمان طعم، للإيمان حلاوة لكننا نشكو قسوة القلوب، ونشكو كثرة الذنوب التي حالت بيننا، وبين أن نجد هذه المعاني العظيمة.

نسأل الله عز وجل أن يصلح قلوبنا!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان كان بعض سلفنا السابقين يقول ما ضرب العبد بعقوبة أعظم من قسوة قلبه قسوة القلب من أعظم العقوبات التي يعاقب الله سبحانه وتعالى بها العباد، وإنما تكون قسوة القلوب بسبب المعصية، وسبب الذنوب، وسبب الغفلة عن رب العزة والجلال، وبسبب البعد عنه، والاعراض عنه جل وعلا، وبسبب تملك الهوى للقلب، وبسبب حب الدنيا

قال تعالى: ﴿فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً﴾ [المائدة: ١٣].

جعل الله عز وجل قلوبهم قاسية؛ لأنهم نقضوا العهد، والميثاق، وذلك بارتكاب الذنوب، والمعاصي، ولهذا قال الله عز وجل عنهم عن بني إسرائيل ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ﴾ [البقرة: ٧٤] من بعد أن أراكم الله عز وجل الآيات التي تؤثر في القلوب ﴿ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُمْ مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الْأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاءُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ﴾ [البقرة: ٧٤] أفيكون قلب العبد أعظم قسوة من الحجارة الصم الصلاب إنها لمصيبة كبرى!

ويقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ ﴾ [الحديد: ١٦].

أخرج الإمام مسلم عن ابن مسعود ﷺ قال: لم يكن بين إسلامنا، وبين أن عاتبنا الله عز وجل بهذه الآية إلا أربع سنين

يعاتب الله عز وجل أفضل جيل سار على وجه الأرض، والبسيطة أصحاب محمد ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ﴾ [الحديد: ١٦].

والله سبحانه وتعالى يقول في آية أخرى: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ نَسُوا اللَّهَ فَأَنْسَاهُمْ أَنْفُسَهُمْ أُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ (١٩) لَا يَسْتَوِي أَصْحَابُ النَّارِ وَأَصْحَابُ الْجَنَّةِ أَصْحَابُ الْجَنَّةِ هُمُ الْفَائِزُونَ (٢٠) لَوْ أَنْزَلْنَا هَذَا الْقُرْآنَ عَلَى جَبَلٍ لَرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُتَصَدِّعًا مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ نَضْرِبُهَا لِلنَّاسِ﴾ [الحشر: ١٩

- ٢١] الجبل يخشع إذا أنزل عليه كلام الرب ﴿أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ آمَنُوا أَنْ تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ اللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ الْحَقِّ وَلَا يَكُونُوا كَالَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِنْ قَبْلُ فَطَالَ عَلَيْهِمُ الْأَمَدُ فَقَسَتْ قُلُوبُهُمْ وَكَثِيرٌ مِنْهُمْ فَاسِقُونَ (١٦) اعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا﴾ [الحديد: ١٦، ١٧] الله الذي يحيي الأرض بعد موتها الله الذي يحيي الأرض هذه الأرض المجدبة التي ليس فيها خضرة يحيها الله سبحانه

القادر على إحياء الأرض قادر على أن يذيب قسوة القلوب.

فعليك يا عبد الله، أن تراقب ربك، وأن تفتش، وتحاسب نفسك، وأن تنظر إلى قلبك هل قلبك عامر بمحبة الله، وطاعته، والتلذذ بعبادته سبحانه وتعالى، أم لا.

فلما قسى قلبي و ضاقت مذاهبي * جعلت رجائي نحو عفوك سلما
تعاظمني ذنبي فلما قرنته بعفوك * بعفوك ربي كان عفوك أعظما

عليك أن تفر إلى الله عز وجل عساك أن تجد هذه الحلاوة التي تنعم بها المتقون.

أسأل الله عز وجل أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا لطاعته، وأسأل الله أن يفرج عن أهل السنة في سوريا، وفي العراق، وفي اليمن، وأن يفرج عن المسلمين.

فضل أبي بكر الصديق ﷺ

فضل الصحابة وأبي بكر الصديق ﷺ

معاشر المسلمين، ...

أفضل جيل مر على تاريخ البشرية هو الجيل الذي آمن بنبينا محمد ﷺ وصحبه ودافع عن الدين، وبلغه وقاتل بين يدي رسول الله ﷺ.

خير جيل مر على تاريخ البشرية من لدن نبينا آدم عليه السلام إلى أن يرث الأرض ومن عليها هم جيل أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم.

قال -سبحانه وتعالى-: ﴿قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ اصْطَفَى﴾ [النمل: ٥٩].

قال ابن عباس ﷺ: « عباده الذين اصطفى هم أصحاب رسول الله ﷺ و ﷺ».

وفي الصحيحين عَنْ عَبْدِ اللَّهِ بْنِ مَسْعُودٍ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ، ثُمَّ الَّذِينَ يَلُونَهُمْ».

هذا خبر من الصادق المصدوق ﷺ يخبر فيه بأن خير الناس ؛ أي جميع الناس «خَيْرُ النَّاسِ قَرْنِي».

ولما تكلم بعض المحَدِّثين في بيان أن عدالة أصحاب رسول الله ﷺ مجمع عليها كما استفاضت النصوص من الكتاب والسنة ذكر -رحمه الله- أنه لو لم يرد نص في بيان فضل أصحاب رسول الله ﷺ لكان ما كانوا عليه من الإيمان، والتصديق، والعلم، والجهاد، والبذل، والنفقة لنصرة هذا الدين لكان هذا كافيًا في تعديلهم، وفي بيان فضلهم.

أصحاب رسول الله رضوان الله عليهم وإن اجتمعوا في الفضل والمناقب إلا أنهم متفاوتون، فأفضلهم وأفضل هذه الآمة بعد النبيين هو أبو بكر عبد الله بن عثمان بن عامر الملقب بالصديق ﷺ.

يذكر عن مسروق بن الأشجع -رحمه الله تعالى- أنه قال: «حب أبي بكر وعمر، ومعرفة فضلهما من السنة».

ويذكر عن الحسن البصري -رحمه الله تعالى- أنه سئل هل حب أبي بكر وعمر من السنة؟ قال: «لا، بل فريضة».

ويذكر ابن الجوزي -رحمه الله- أن السلف كانوا يعلمون أبنائهم حب أبي بكر وعمر ﷺ كما يعلمونهم السورة من القرآن.

السلف الأولون كانوا يغرسون في نفوس الناشئة حب أبي بكر وعمر ﷺ اللذين قال فيهما رسول الله ﷺ في الحديث الذي رواه الترمذي، وصححه الإمام الألباني عَنْ أَنَسٍ ﷺ : «هَذَانِ سَيِّدَا كُهُولِ أَهْلِ الجَنَّةِ مِنَ الأَوَّلِينَ وَالآخِرِينَ إِلاَّ النَّبِيِّينَ وَالمُرْسَلِينَ».

سيدا كهول أهل الجنة إلا النبيين والمرسلين هما أبو بكر وعمر -ﷺ-

.

ويقول الإمام أحمد: «من سب أبا بكر فلا حظ له في الإسلام».

وسئل الإمام أحمد عن الرافضة -الرافضة هم شر أهل البدع، الرافضة منهم شيعة إيران، وحزب اللات

شيعة إيران، وحزب اللات اللذان انخدع بهما كثير من المسلمين فخرجوا يهللون لثورة الخميني ولم يعلموا أنها ثورة على الإسلام، وخرجوا يكبرون مهللين بالانتصارات الزائفة لحزب اللات في جنوب لبنان، وما

علموا أن العقيدة التي يقاتل لأجلها جنود حزب اللات عقيدة يراد لها أن تقضي على الدين الذي بعث الله -عز وجل- به رسوله محمدًا ﷺ.

سئل الإمام أحمد عن الرافضة من هم؟ قال: «الذين يسبون أبا بكر وعمر».

هذه علامة الرافضة.

فضل أبي بكر ومناقبه لا يمكن حصرها، ولكن حسبنا أن نذكر بطرف من فضائله، وأن نشنف الأسماع بشيء من مآثره.

يقول ربنا -عز وجل-: ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠].

يقول سفيان بن عيينة فيما رواه الآجري في كتاب «الشريعة» بإسناد حسن: «عاتب الله عز وجل جميع المسلمين، عاتب الله جميع أهل الأرض في نبيه محمد ﷺ ولم يخرج من المعاتبة ألا أبا بكر -رضي الله عنه- ﴿إِلَّا تَنْصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ اللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا﴾ [التوبة: ٤٠].

في الصحيحين أن قريشا لما علمت بهجرة رسول الله ﷺ رغّبت الناس في الإتيان برسول الله ﷺ وصاحبه، فلما رأى أبو بكر -رضي الله عنه- الطلب خاف، وما كان خوفه على نفسه، إنما خوفه على رسول الله ﷺ.

فإن تلك الزمرة المباركة من أصحاب النبي ﷺ لما خالطت بشاشة الإيمان قلوبهم، واختلطت بعظمهم، ولحمهم، وجرت في دمائهم كانوا يقدمون أنفسهم رخيصة ذبًا عن رسول الله ﷺ.

خاف أبو بكر فقال له رسول الله ﷺ: «يا أبا بكر لا تخف، إن الله معنا».

ولما أويا إلى الغار وجاء المشركون فوقفوا عند فم الغار كما في الصحيحين عن أنس بن مالك ﷺ قال أبو بكر ﷺ لرسول الله ﷺ: «لَوْ أَنَّ أَحَدَهُمْ نَظَرَ تَحْتَ قَدَمَيْهِ لَأَبْصَرَنَا، فَقَالَ له رسول الله ﷺ: «يَا أَبَا بَكْرٍ مَا ظَنُّكَ بِاثْنَيْنِ اللَّهُ ثَالِثُهُمَا».

الله ثالث رسول الله ﷺ وثالث أبي بكر وهو صاحبه.

﴿إِذْ أَخْرَجَهُ الَّذِينَ كَفَرُوا ثَانِيَ اثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِي الْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَاحِبِهِ﴾ [التوبة: ٤٠] وهو أبو بكر ﷺ ﴿لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ مَعَنَا فَأَنْزَلَ اللَّهُ سَكِينَتَهُ عَلَيْهِ﴾ [التوبة: ٤٠] قال جماعة من السلف: أنزل الله السكينة على أبي بكر ﷺ، فإن السكينة لم تزل مع رسول الله ﷺ.

ولما ذكر الله -عز وجل- النار ذكرها بأوصاف تطير لها القلوب فزعًا، وذكر أهلها

و ذكر أولئك السعداء من أهل الجنة الذين يُجنبون دخول النار، فقال تعالى: ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى﴾ [الليل: ١٧] كثير من المفسرين قالوا: هو أبو بكر -ﷺ-، والآية وإن كانت عامة إلا أن أبا بكر من أول من تتناوله هذه الآيات ﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى﴾ [الليل: ١٧، ١٨] لا يريد رياء، ولا سمعة، ولا مدحًا، يريد أن يزكي نفسه.

وفي سنن ابن ماجة، وصححه الإمام الألباني عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ﷺ، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ: «مَا نَفَعَنِي مَالٌ قَطُّ، مَا نَفَعَنِي مَالُ أَبِي بَكْرٍ» قَالَ:

فَبَكَى أَبُو بَكْرٍ، وَقَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، هَلْ أَنَا وَمَالِي إِلَّا لَكَ يَا رَسُولَ اللَّهِ.

﴿وَسَيُجَنَّبُهَا الْأَتْقَى (١٧) الَّذِي يُؤْتِي مَالَهُ يَتَزَكَّى (١٨) وَمَا لِأَحَدٍ عِنْدَهُ مِنْ نِعْمَةٍ تُجْزَى (١٩) إِلَّا ابْتِغَاءَ وَجْهِ رَبِّهِ الْأَعْلَى﴾ [الليل: ١٧ - ٢٠] ثم بشره الله -سبحانه وتعالى- ببشارة عظمى فقال: ﴿وَلَسَوْفَ يَرْضَى﴾ [الليل: ٢١] سيرضيه الله -سبحانه وتعالى-.

وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ دخل بئر أريس فقضى حاجته، وتوضأ، فأقام أبو موسى الأشعري نفسه بوابًا لرسول الله ﷺ فجاء أبو بكر ﷺ يستأذن فقال له: على رسلك حتى أستأذن لك رسول الله ﷺ، فذهب ليستأذن فقال النبي ﷺ: «ائذن له، وبشره بالجنة» ... الحديث

أبو بكر -ﷺ- كان من أهل الجنة الذين يمشون على الأرض، فما حملهم ذلك على البطر، ولا حملهم ذلك على الكبر، بل ظل أبو بكر -ﷺ- حتى نزول الموت به خائفًا مشفقًا مواظبًا على ما يقرب إلى الله سبحانه وتعالى.

وفي الصحيحين عن عمرو بن العاص -ﷺ- قال: قلت يا رسول الله من أحب الناس إليك؟ قال: «عائشة»، قال: فمن الرجال؟ قال: «أبوها».

ولما اشتد مرض الموت بالنبي ﷺ قال: «مرو أبا بكر فليصل بالناس» قال جماعة من السلف من الصحابة من أصحاب المراتب العالية: ما خفي على رسول الله ﷺ مكاننا، بل عرف مكاننا، ومع ذلك ما قدم في الصلاة إلا أبا بكر -ﷺ-.

والله إن الحديث عن أصحاب رسول الله ﷺ وعن مناقبهم، وعن فضائلهم لمما يقوي الإيمان في القلوب، وإنه لمما يجد به الإنسان حلاوة الإيمان.

كرر عليّ حديثهم يا حادي * فحديثهم يجلو الفؤاد الصادي

وفي الصحيحين عن أبي سعيد الخدري -رضي الله عنه- أن النبي ﷺ خطب الناس فقال: «إن الله -عز وجل- خير عبدًا بين الدنيا وبين ما عنده فاختار ذلك العبد ما عند الله» قال: فبكى أبو بكر -رضي الله عنه-، فعجبنا من بكائه، أن يخبر رسول الله ﷺ عن عبد خير فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا.

وفي سنن الترمذي وصححه الإمام الألباني عن عمر رضي الله عنه أنه قال: «أبو بكر سيدنا، وأفضلنا، وأحبنا إلى رسول الله ﷺ» قال أبو سعيد رضي الله عنه: «فكان رسول الله ﷺ هو المخير، وكان أبو بكر أعلمنا» فقال النبي ﷺ: «إن من أمن الناس علي في صحبته وماله أبا بكر، ولو كنت متخذًا خليلًا غير ربي لاتخذت أبا بكر خليلًا، ولكن إخوة الإسلام، ومودته».

أبو بكر لم يفارق رسول الله ﷺ حضرًا، ولا سفرًا، إلا في المواضع التي أمره فيها رسول الله ﷺ بأمرٍ، وما غاب عن مشهد، ولا عن معركة خاضها رسول الله ﷺ.

هو أشجع المسلمين من هذه الأمة بعد رسول الله ﷺ.

أسأل الله -عز وجل- أن يصلح قلوبنا!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، كما ذكرت فإن فضائل، ومناقب أبي بكر -رضي الله عنه- كثيرة لا يمكن عدها، ومن جملة فضائله ما ثبت في الصحيحين أن رسول الله ﷺ قال: «من أنفق زوجين في سبيل الله نودي يا عبد الله هذا خير، فمن كان من أهل الصلاة دعي من باب الصلاة، ومن كان من أهل الجهاد دعي من باب الجهاد، ومن كان من أهل الصيام دعي من باب الريان، ومن كان من أهل الصدقة دعي من باب الصدقة»، فقال أبو بكر رضي الله عنه الذي سمت همته إلى أن يكون في أعلى المراتب عند الله -سبحانه وتعالى-

أصحاب رسول الله لم يكن نظرهم إلى هذه الدنيا الحقيرة، إلى هذا المتاع الزائل كانت قلوبهم متعلقة بربهم -عز وجل-، كانت قلوبهم عامرة بحب الله -سبحانه وتعالى-، علموا أن الدار دار امتحان، وأن الفناء مصيب جميع الناس، وأن الموت لا بد أن يذوق كل حي كأسه فأرادوا الآخرة.

لما سمع أبو بكر -رضي الله عنه- ذلك قال: «يا رسول الله ما على من يدعى من تلك الأبواب كلها من ضرورة» السابقون المقربون ينادون من جميع أبواب الجنة، ومن دعي من أحد أبواب الجنة فليس عليه ضرورة فهل يدعى أحد من تلك الأبواب كلها؟ فقال النبي ﷺ: «نعم وأرجو أن تكون منهم».

أن تكون ممن يدعى من جميع أبواب الجنة

وفي صحيح مسلم عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَنْ أَصْبَحَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ صَائِمًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ تَبِعَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ جَنَازَةً؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ رضي الله عنه: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ أَطْعَمَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ

مِسْكِينًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، قَالَ: «فَمَنْ عَادَ مِنْكُمُ الْيَوْمَ مَرِيضًا؟» قَالَ أَبُو بَكْرٍ ﷺ: أَنَا، فَقَالَ رَسُولُ اللهِ ﷺ: «مَا اجْتَمَعْنَ فِي امْرِئٍ، إِلَّا دَخَلَ الْجَنَّةَ».

ما ذكر خصلة خير إلا وأبو بكر من السابقين إليها.

وفي سنن أبي داود والترمذي وصححه الإمام الألباني عن أمير المؤمنين عمر بن الخطاب -ﷺ- قال: «أَمَرَنَا رَسُولُ اللهِ ﷺ أَنْ نَتَصَدَّقَ فَوَافَقَ ذَلِكَ عِنْدِي مَالاً، فَقُلْتُ: اليَوْمَ أَسْبِقُ أَبَا بَكْرٍ إِنْ سَبَقْتُهُ يَوْمًا» كانوا يتسابقون في الأعمال الصالحة، حتى انتهينا إلى زمن نحن جزء منه، نحن من المقصرين.

والله، إنا نشكو التقصير، نشكو أننا ما بذلنا شيئًا لنصرة الدين حتى انتهينا إلى زمن بَعُد أكثر الناس فيه عن دين الله -عز وجل-، وعن نصرة الدين، وما صاروا يتسابقون إلا في جمع الأرصدة في البنوك، وإلا في بناء المنازل الفخمة، والجميلة، والمشيدة، وإلا في اقتناء المزارع، وإلا في أمور الدنيا التافهة، من دون بذل للدين إلا من رحم الله

«أمرنا رسول الله ﷺ أن نتصدق فوافق ذلك عندي مالا، فقلت: اليوم أسبق أبا بكر إن سبقته يوما، قال: فجئت بنصف مالي» فوضعته بين يدي رسول الله ﷺ والظاهر أن المال كان كثيرًا.

فقال النبي ﷺ: «ماذا تركت لأهلك؟»

كانت نفاقاتهم عظيمة؛ لهذا كان النبي ﷺ يرفق بهم، ويحرص على أن يعرف أن عندهم كفاية من النفقة لأهلهم .

جاء بمال كثير قال : ماذا تركت، ماذا أبقيت لأهلك؟

قلت: «مثله يا رسول الله» وجاء أبو بكر بجميع ماله، ما تلفت، ولا تلكأ؛ لأنه كان ممن عظمت ثقتهم بالله رب العالمين، وقوي توكلهم بالله -سبحانه وتعالى-.

جاء بجميع ماله فوضعه بين يدي رسول الله ﷺ فقال: يا أبا بكر ماذا أبقيت لأهلك؟ قال: أبقيت لهم الله ورسوله.

فقال عمر -رضي الله عنه-: والله، ما سابقته في خير أبدًا، أو كما قال.

تلك زمرة طيبة مباركة كالنجوم التي تتلألأ، وكالأقمار التي تضيء للسارين، ومن الدين محبتهم، ومن الدين معرفة فضائلهم، ومن الدين دراسة علومهم، ومن الدين أن نقتفي آثارهم.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا لكل خير!

مناقب الأشعريين

من فضائل الأشعريين

معاشر المسلمين، تكلمنا في جمعة سابقة عن بعض فضائل الأشعريين وهم قوم أبي موسى الأشعري الذين أسلموا معه وهاجروا معه ﷺ.

وقد رأيت الحاجة تدعو إلى إعادة الحديث عنهم مرة ثانية، وفي الإعادة إفادة؛ ذلكم أن فضائل الأشعريين ﷺ التي وردت في الكتاب والسنة اشتملت على صفات عظيمة، وعلى خصال جليلة هي من خصال الإيمان، وهي من صفات أهل البر والإحسان.

يحتاج المسلمون إلى أن يتصفوا بها في كل زمان، وأوان

والأشعريون كانوا يعرفون بأصحاب الهجرتين، وذلك أنهم لما خرجوا من بلدهم اليمن مهاجرين إلى الله عز وجل ورسوله ﷺ ألقت بهم سفينتهم إلى الحبشة فاجتمعوا مع جعفر بن أبي طالب، وإخوانه من المهاجرين ﷺ الذين خرجوا من مكة فرارًا بدينهم.

ثم جاءوا مهاجرين مع جعفر بن أبي طالب ﷺ إلى مدينة رسول الله ﷺ ووصلوها بعد فتح خيبر في السنة السابعة من هجرة النبي ﷺ فعرفوا بأصحاب الهجرتين.

وهم من أهل اليمن، ولأهل اليمن مناقب وفضائل في القرآن والسنة عظيمة قال الله سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ

مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة: ٥٤].

الفضل الكبير هو الفضل الذي يكون من عند الله سبحانه وتعالى مما يتعلق بالأعمال الصالحات، وبالخصال التي يحبها رب الأرض والسموات.

أخرج الحاكم في مستدركه، والطبراني وصححه الإمام الألباني عن عياض الأشعري ﷺ قال: «لما نزلت ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ [المائدة: ٥٤] أومأ النبي ﷺ بشيء كان في يده إلى أبي موسى الأشعري، وقال: هم قوم هذا».

فمن أعظم من تولى قتال المرتدين بعد موت رسول الله ﷺ مع الخليفة الصديق الأكبر أبي بكر ﷺ هم أهل اليمن، وتأمل الصفات التي وصفهم بها ربنا سبحانه وتعالى

صفات لو بذل الإنسان نفسه حتى ينال شيئًا منها لكان ثمنًا رخيصًا.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ﴾ [المائدة: ٥٤].

فمن صفات الصالحين أنه قد جمعهم الإيمان جمعتهم هذه الرابطة العظيمة التي توحد بين أهلها.

ولقد ذل المسلمون لما تنكبوا صراط الله المستقيم، لما واقع فئام منهم الشرك الأكبر، لما انحرف فئام منهم عن دين الله سبحانه وتعالى حتى صاروا شيعًا، وأحزابًا، وجماعات يعادي بعضها بعضًا، ويحارب بعضها بعضًا.

أما هؤلاء ﴿أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَائِمٍ﴾ [المائدة: ٥٤] بل يتلذذون بالملام في شأن الملك العلام سبحانه وتعالى.

أَجِدُ الملامَةَ في هَواكِ لَذيذةً حُباً لِذكرك فليلُمْني اللُّوَّمُ

ومن فضائل أهل اليمن: ما جاء في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال: «أَتَاكُمْ أَهْلُ الْيَمَنِ هُمْ أَرَقُّ أَفْئِدَةً وَأَلْيَنُ قُلُوبًا، الإِيمَانُ يَمَانٍ وَالْحِكْمَةُ يَمَانِيَةٌ».

لما عرف أعداء الإسلام ما لأهل اليمن من مكانة عظيمة في الإسلام، وما ينتظر منهم من أدوار كبيرة في نصرة هذا الدين، عملوا على تفتيت وحدتهم، وعلى تغريبهم، وعلى إبعادهم عن دينهم زرعوا فيهم تنظيم القاعدة التنظيم المفسد والمخرّب.

ثم بعد ذلك مكنوا الحوثيين الذين أهم أذناب الرافضة فما زالوا يمشون بالفتن بين أهل هذه البلد فقتلوا الصالحين، وهجروا الصالحين حاربوا طلبة العلم النابهين

فرقوا أهل اليمن وكانوا ذراعا وأداة لرافضة إيران في بلد الإيمان .

أهل اليمن لهم مكانة عظيمة يحتاجون أن يستردوها كما يحتاج المسلمون إلى أن يستردوا مكانتهم بالرجوع إلى دينهم، والتمسك به.

الأشعريون نحبهم في الله، ونستصغر أنفسنا عندما نقف على شيء من فضائلهم، ونحتقر أنفسنا أننا لسنا على اتصاف بهذه الصفات العظيمة.

ذكر بعض علماء التفسير أن من جملة البكائيين الأشعريين قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلَّا يَجِدُوا مَا يُنْفِقُونَ﴾ [التوبة: ٩٢] ذكر علماء التفسير أن منهم الأشعريين جاءوا يطلبون من رسول الله صلى الله عليه وسلم أن يحملهم؛ ليخرجوا إلى غزوة تبوك، فلما اعتذر لهم بضيق

ذات اليد تأثروا ﴿وَلَا عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لَا أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّوْا وَأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ﴾ [التوبة: ٩٢] بكوا حزنًا أن لم يجدوا سبيلًا حتى يخرجوا في الجهاد لعلهم أن ينالوا شهادة.

يبكون أن حرموا من الموت في سبيل الله، أما المسلمون في أزمنة الضعف فهم إلا من رحم الله تعلقت قلوبهم بالدنيا، وأحبوا هذا المتاع الزائل، والله المستعان!

في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري ﷺ أن النبي ﷺ قال: «إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو، أو قل طعام عيالهم في المدينة جمعوا ماعندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني، وأنا منهم».

لماذا سيق هذا الخبر؟

لماذا خرج هذا الخبر الذي يدل على صدق، وإيثار من فم رسول الله ﷺ لحكم منها بيان شيء من فضائل الأشعريين، ومنها: حض الأمة، دعوة الأمة، بعث الأمة إلى أن تتأسى بهم، ولا ريب أننا في حاجة ماسة إلى إعمال هذا الخبر وقد أصابنا الغلاء، ومنا من لا يجد ما يدفع به عن نفسه، وعن أطفاله الجوع عندما نحدث عن أستاذ جامعي فصل تعسفيًا فلم يجد ما يعالج به أولاده حتى صار يتكفف الناس.

لا ريب أننا نستشعر الحاجة إلى أن نجدد آثار سلفنا الأوليين الذين كان أخوه بما في جيبه أحق من نفسه.

«إن الأشعريين إذا أرملوا في الغزو» يعني فني طعامهم، انتهى طعامهم، أو قل طعام عيالهم بالمدينة، ما يفعلون؟

هل يغلق كل واحد منهم داره، هل يتوارى عن إخوانه، جمعوا ما كان عندهم في ثوب واحد، ثم اقتسموه بينهم في إناء واحد بالسوية فهم مني، وأنا منهم، لما كانوا على هذه الصفات العظيمات استحقوا مثل هذ المنقبة العظيمة فهم مني، وأنا منهم فرضي الله تعالى عنهم.

إخوة الإيمان، وهناك ما هو أعجب، فإن الله سبحانه وتعالى وصف الأنصار من الأوس والخزرج وأصلهم من أهل اليمن وصفهم بما هو أعظم من ذلك قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَالَّذِينَ تَبَوَّءُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَنْ يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [الحشر: ٩].

الأنصار الذين هم من اليمن وفقوا إلى مقام الإيثار، ومقام الإيثار أن تقدم أخاك على نفسك فيما تحتاج إليه.

أُولَئِكَ آبَائِي فَجِئْنِي بِمِثْلِهِمْ إِذَا جَمَعَتْنَا يَا جَرِيرُ المَجَامِعُ

ومن فضائل الأشعريين: ما أخرجه البخاري ومسلم عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: « إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين حينما يدخلون بالليل من أصواتهم بالقرآن، وإني لأعرف منازلهم إذا نزلوا بالليل من أصواتهم بالقرآن، وإن كنت لم أعرف منازلهم حين نزلوا بالنهار ومنهم حكيم كان إذا لقي الخيل، أو العدو قال: «إن أصحابي يأمرونكم أن تنظروهم».

يخبر النبي ﷺ عن خصلة أخرى في الأشعريين وهي صلتهم بالقرآن، كيف أنهم كانوا من أهل القرآن، وهم أهل الله وخاصته.

وإياك أن تظن أن صلتهم بالقرآن كصلة بعض من يتاجر بالقرآن في أزمنتنا هذه، فليس لهم من القرآن إلا الدعوى، وإلا الإستعطاء أوالتلاعب بعقول الناس

ما كانوا كذلك أبداً.

هم ممن قال الله سبحانه وتعالى فيهم في كتابه الكريم: ﴿تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ عَنِ الْمَضَاجِعِ يَدْعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفًا وَطَمَعًا وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ﴾ [السجدة: ١٦].

جعلوا هذا القرآن أصلًا به يتحركون، حكّموا القرآن في حياتهم، تمسكوا بالقرآن بالعمل به، وبالدعوة إليه، وبترتيله، ومناجاة الله سبحانه وتعالى به.

ومن العجيب أن الحاكم في المستدرك، والطبراني وصححه الإمام الألباني رويا عن عبد الله بن عمرو بن العاص رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «أن في الجنة غرفاً يُرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، فقال أبو مالك الأشعري، الذي سأل من الأشعريين.

فقال أبو مالك الأشعري: لمن هي يا رسول الله؟ هذه الغرفة التي في الجنة التي نرى ظاهرها من باطنها، وباطنها من ظاهرها، هي لمن يا رسول الله؟

أمثال هؤلاء يسألون عن العلم ليعملوا، يسألون عن الحكمة حتى يطبقوا قال: لمن هي يا رسول الله؟

فقال ﷺ: «لمن أطاب الكلام، وأطعم الطعام، وبات قائمًا والناس نيام».

فهو مخلص بعيد عن أعين الناس لا يحب أن يراه أحد.

«إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل، وإني لأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أرَ منازلهم حين نزلوا بالنهار».

فهم أهل قرآن، أهل تهجد بالقرآن، أهل قيام بالليل.

ومن عجيب ما وقفت عليه أيضا ما أخرجه الإمام عبد الله بن المبارك، ومن طريقه الإمام أحمد، والنسائي وهو حديث صححه الإمام الألباني أنه ذكر لرسول الله ﷺ شريح الحضرمي وهو من أهل اليمن ذكر لرسول ﷺ شريح الحضرمي فقال النبي ﷺ: «ذاك رجل لا يتوسد القرآن».

وعند ابن المبارك في كتابه «الزهد» قال: قال ابن صاعد : يعني لا ينام عنه، لا ينام عنه بالليل، بل يقوم بالليل بالقرآن مناجيًا ربه سبحانه وتعالى.

علينا أن نحرص على أن نحقق إيماننا بالأعمال الصالحات، وعلى أن نتأسى برسول الله ﷺ، وأصحابه الذين بلغوا المنازل العاليات.

أسأل الله عز وجل أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يغفر لنا فهو المستعان وبارك الله فيكم!

ثلاث من الإيمان

من خصال الإيمان

معاشر المسلمين، فإن الإيمان مركب الأمان، وسبيل السعادة، وطريق الجنان، إن الذين تعلقت قلوبهم بمحبة الرحمن، وحدثوا أنفسهم أي يكونوا من السعداء، ومن وراثي الجنان فسبيل ذلك إن وفق الله سبحانه وتعالى العبد، سبيل ذلك توحيد الله، والإيمان به.

والإيمان عند أهل السنة والجماعة قول باللسان، واعتقاد بالجنان، وعمل بالجوارح والأركان .

فعمل الجوارح تصديق لإيمان القلب

يزيد الإيمان بالطاعة، وينقص بالعصيان

علق الإمام البخاري رحمه الله تعالى في صحيحه، ووصله عبد الرزاق في مصنفه بإسناد صحيح، وروي مرفوعًا إلى النبي ﷺ ولا يصح، عن عمار بن ياسر رضي الله عنهما قال: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

قال ابن حجر: هذا الخبر، وإن كان موقوفًا على عمار بن ياسر إلا أن له حكم الرفع فإنه لا يقال من قبل الرأي، تلقى عمار بن ياسر هذا الخبر عن سيد الخلق نبينا محمد ﷺ.

«ثلاث» يعني ثلاث خصال «من جمعهن فقد جمع الإيمان» هذه الخصال الثلاث اشتملت على أصول الخير، وفروعه، ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان.

«الإنصاف من نفسك» والإنصاف من النفس يقتضي أن يوفي العبد بحقوق الله عز وجل كاملة موفرة، ويقتضي أن يوفي بحقوق الخلق كاملة موفرة.

من أنصف من نفسه لم تكن طاعة إلا وجدته سابقًا إليها، وما كان شيء يرضي رب العزة والجلال إلا طار إليه بقلبه وجوارحه.

لما أنصف الصحابة من أنفسهم عرضوا هذه النفوس لرضا ربهم سبحانه وتعالى رخيصة باعوا أنفسهم لله فلم يقيلوا، ولم يستقيلوا رضوان الله عليهم.

والإنصاف من النفس يقتضي أن تحب لإخوانك ما تحبه لنفسك، ويحملك على ألا تتكلم في أحد إلا وقد جعلت لذلك ميزانًا هو ميزان الكتاب والسنة، وميزان آخر وهو أن تحب للناس ما تحب لنفسك وتكره لهم ما تكره لنفسك

أرأيت لو تكلم فيك بما تريد أن تتكلم به، أكنت ترضى ذلك، المنصف محب لله، المنصف خائف من الله، المنصف علم حقيقة قوله تعالى: ﴿مَا يَلْفِظُ مِنْ قَوْلٍ إِلَّا لَدَيْهِ رَقِيبٌ عَتِيدٌ﴾ [ق: ١٨].

ومن الإنصاف من النفس أن تسعى لتكميل نفسك بطاعة الله، وأن تحذر أن تدسي نفسك بالمعصية ﴿قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا﴾ [الشمس: ٩، ١٠].

ومن الإنصاف الذي أشرنا إليه مقام رفيع، لكنه صعب، إنه مقام مراقبة الله عز وجل عند الكلام في الناس، الإنصاف يجامع العدل، وإن كان بينهما فرق قال عز وجل: ﴿إِنَّ اللَّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ﴾ [النحل: ٩٠].

وأثنى الله سبحانه وتعالى على هذه الأمة في قول بعض المفسرين فقال:

﴿وَمِمَّنْ خَلَقْنَا أُمَّةٌ يَهْدُونَ بِالْحَقِّ وَبِهِ يَعْدِلُونَ﴾ [الأعراف: ١٨١].

فأهل السنة أعرف الناس بالحق، وأرحم الناس للخلق، ولا يتكلمون إلا بعلم وعدل قال الله عز وجل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ [المائدة: ٨].

فأمر الله عز وجل بالعدل على العدو، وإن كان مبغضًا كافرًا.

هذا دين الإسلام، وأمر الله سبحانه وتعالى بالعدل بقول الحق في القريب ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا وَلَوْ كَانَ ذَا قُرْبَى﴾ [الأنعام: ١٥٢].

فلا تحملنك قرابته على أن تزيف الحق، وأن تنصر الباطل، راقب ربك عز وجل، وقد نقل عن الإمام مالك أنه كان يستعمل الإنصاف في كل شيء ويقول: «ليس في الناس أقل منه، فأحببت المداومة عليه».

ويقول الإمام أحمد: «الإنصاف في كل شيء حسن».

وتعر من ثوبين من يلبسهما * يلقى الردى بمذلة وهوان
ثوب من الجهل المركب فوقه * ثوب التعصب بئست الثوبان
وتحل بالإنصاف أفخر حلة * زينت بها الأعطاف والكتفان

تحلى بالإنصاف، تكلم بالحق، وتكلم بالعدل، وخف الله سبحانه وتعالى فيمن تتكلم فيه.

بعض من ينتسب إلى منهج أهل السنة فارق الإنصاف، وركب الظلم، والاعتساف، فربما لم يسلم منه أحد.

ولما قال الله تعالى: ﴿وَإِذَا قُلْتُمْ فَاعْدِلُوا﴾ [الأنعام: ١٥٢] نص علماء التفسير أن هذه الآية تشمل العدل في التجريح، إياك أن تجرح مسلمًا من غير بينة، ومن غير علم، ومن غير برهان، ومن غير حجة نيرة.

كم من مظلوم طُعن في دينه، وجُرح في عدالته، تقليدًا، وظلمًا حتى صار بعض السلفيين من جهة العقل أخف من البهائم إلا من رحم الله سبحانه وتعالى، فيجتمعون على رجل ويفترقون على رجل، ويتحاربون على رجل، ويظلمون بناءً على موقف من رجل.

«ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان؛ الإنصاف من نفسك» وإنه لمقام عظيم لا يقوى عليه إلا أصحاب القلوب المؤمنة الحية.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يصلح قلوبنا!

✍ الخطبة الثانية

يقول الصحابي الجليل عمار بن ياسر ﷺ: «ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم».

جاءت هذه الشريعة بالحث على إشاعة السلام ونشره بين المسلمين

ففي الصحيحين من حديث عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن رجلًا قال: يا رسول الله، أي الإسلام خير» مثل هذا السؤال يتكرر كثيرًا على ألسنة الصحابة؛ لأنهم قوم عرفوا حقيقة الدنيا، وأنها مزرعة للآخرة، فما تعلقت قلوبهم بالدنيا، بل نظروا فيما ينفعهم عند القدوم على الله ﴿وَاتَّقُوا يَوْمًا تُرْجَعُونَ فِيهِ إِلَى اللَّهِ ثُمَّ تُوَفَّى كُلُّ نَفْسٍ مَا كَسَبَتْ وَهُمْ لَا يُظْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٨١].

قال يا رسول الله، أي الإسلام خير؟ قال: «تطعم الطعام، وتقرأ السلام على من عرفت، ومن لم تعرف» تجمع بين الإحسان إلى الناس بإطعام الطعام، وبين إفشاء السلام، فإن إفشاء السلام لا يكلف شيئًا مع عظيم

أجره.

وجاء في سنن الترمذي وصححه الإمام الألباني أنه لما قيل قدم رسول الله ﷺ المدينة انجفل إليه الناس، فكان ممن سارع لرؤية النبي ﷺ عبد الله سلام -رضي الله عنه- قال: فلما نظرت في وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذاب يريد رسول الله ﷺ.

وسمعته يقول: «أيها الناس، اطعموا الطعام، وأفشوا السلام، وصلوا الأرحام، وصلوا بالليل والناس نيام تدخلوا الجنة بسلام».

أترون الجنة تنال بالأماني؟

﴿وَقَالُوا لَنْ يَدْخُلَ الْجَنَّةَ إِلَّا مَنْ كَانَ هُودًا أَوْ نَصَارَى تِلْكَ أَمَانِيُّهُمْ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [البقرة: ١١١].

أيها الناس، أطعموا الطعام، فالمسلم الصادق تجده كالنحلة يأكل طيبًا، ويضع طيبًا كما قال النبي ﷺ: «أطعموا الطعام، وأفشوا السلام» أشيعوه بين الناس، واليوم أهل المنهج الواحد يهجر بعضهم بعضًا، ويمتنع بعضهم من إلقاء السلام على بعض على ماذا؟

لعله خالفني في رجل، ولم يوافقني على تبديعه فتقطعت أواصر، العلاقة والصلة !!

«أطعموا الطعام، وأفشوا السلام» وإفشاء السلام يدل على التواضع، ويدل على محبة القرب من الله -سبحانه وتعالى- وهو سبب لانتشار المحبة.

ففي صحيح مسلم عن أبي هريرة -رضي الله عنه- «أن النبي ﷺ قال: «لا تدخلوا الجنة حتى تؤمنوا، ولا تؤمنوا حتى تحابوا، أولا أدلكم على شيء إذا فعلتموه تحاببتم أفشوا السلام بينكم» انشروا السلام، أشيعوه.

أخرج الإمام مالك في «الموطأ» وهو صحيح عن الطفيل بن أبي بن كعب ذكر أنه كان يأتي عبد الله بن عمر -رضي الله عنهما- ويمشي معه إلى السوق، فلا يمر عبد الله بن عمر على بائع، على سقاط، على صاحب بيعة إلا وسلم عليه.

قال: فجئته مرة فاستتبعني إلى السوق، فقلت: ماذا تريد بالسوق، وأنت لا تقف على بائع، ولا على أحد تشتري منه شيئًا؟

قال: إنما نغدو من أجل السلام، نسلم على من لقينا.

يخرج إلى السوق ما يريد إلا أن يسلم، حتى ينال الثواب، والأجر.

«ثلاث من جمعهن فقد جمع الإيمان، الإنصاف من نفسك، وبذل السلام للعالم، والإنفاق من الإقتار».

إن تنفق على جميع أحوالك، سواء كنت ممن وسع عليه، أو ممن ضيق عليه، الإنفاق من الإقتار، الإنفاق من القلة.

قال تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ﴾ [الحشر: ٩].

ويقول تعالى: ﴿الَّذِينَ يُنْفِقُونَ فِي السَّرَّاءِ وَالضَّرَّاءِ﴾ [آل عمران: ١٣٤].

والإنفاق من أسباب نيل البر ﴿لَنْ تَنَالُوا الْبِرَّ حَتَّى تُنْفِقُوا مِمَّا تُحِبُّونَ﴾ [آل عمران: ٩٢].

وفي سنن أبي داود من حديث أَبِي هُرَيْرَةَ رضي الله عنه، أَنَّهُ قَالَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ، أَيُّ الصَّدَقَةِ أَفْضَلُ؟ قَالَ: «جُهْدُ الْمُقِلِّ، وَابْدَأْ بِمَنْ تَعُولُ».

أفضل الصدقة جهد المقل

ما عنده مال كثير بل قليل لكنه ينفق

وهذا يدل على الثقة بالله، وعلى التوكل عليه، وعلى الزهد في الدنيا، وعلى طلب الثواب، والأجر، وكذلك من المقامات العظيمة في الإنفاق أن تنفق في حال الصحة كما جاء في الصحيحين أن رسول الله ﷺ سئل: «أي الصدقة أعظم أجرًا؟ فقال ﷺ: «أن تصدق وأن صحيح شحيح».

أنت صحيح قوي البدن شحيح لك حرص على المال.

«أن تصدق وأن صحيح شحيح تخاف الفقر، وتأمل الغنى».

لأن من أنفق ربما جاءه الشيطان وخوفه من ذهاب المال ومن الفقر؛ قال تعالى: ﴿الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُمْ بِالْفَحْشَاءِ وَاللَّهُ يَعِدُكُمْ مَغْفِرَةً مِنْهُ وَفَضْلًا وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٨].

«أن تصدق وأنت صحيح شحيح تخاف الفقر، وتأمل الغنى» ولا تمهل، لا تتأخر.

﴿فَلَوْلَا إِذَا بَلَغَتِ الْحُلْقُومَ﴾ [الواقعة: ٨٣]

حتى إذا كنت في سياق الموت قلت لفلان كذا، ولفلان كذا، وقد كان لفلان، قد كان لفلان.

هذه الخصال الثلاث من أعظم خصال الإيمان.

أسأل الله أن يحلينا بها، وأن يجعلها من أهلها، وأن يغفر ذنوبنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يفرج عن المسلمين

التوحيد الخالص

معاشر المسلمين، فإن العبودية الحقة لله رب العالمين والتوحيد الخالص شرف لا يدانيه شرف، ومنزلة عظمى تقصر دونها النجوم.

ومن شواهد ذلك أن الله سبحانه وتعالى وصف سيد الخلق نبينا محمدًا ﷺ بالعبودية في أشرف المقامات وأعلاها فقال سبحانه وتعالى ﴿تَبَارَكَ الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ عَلَى عَبْدِهِ لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ نَذِيرًا﴾ [الفرقان: ١].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا﴾ [الجن: ١٩].

وقال سبحانه وتعالى: ﴿سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إِلَى الْمَسْجِدِ الْأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ﴾ [الإسراء: ١].

فتأمل يا عبد الله، كيف أن الله عز وجل وصف نبيه بالعبودية في هذه المقامات العظيمة، ومن فوائد ذلك أن تحقيق العبودية لله سبحانه وتعالى سبب للشرف وعلو المنزلة، والعز والسعادة في الدنيا والآخرة.

وأنتم تعلمون أن الله سبحانه وتعالى ما أوجدنا في هذه الدار لغاية إلا لتحقيق العبودية له

قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ (٥٦) مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ (٥٧) إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ﴾ [الذاريات: ٥٦ - ٥٨].

وقد بيّن علماء الإسلام أن أول أمر يقابله الناظر في كتاب الله عز وجل هو الأمر بالعبادة، قال سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ (٢١) الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا

وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢١، ٢٢].

هذا أول فعل أمرٍ يقابل من ينظر في كتاب الله عز وجل، وهو أمر لجميع الناس ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١] فاحتج الله سبحانه وتعالى لوجوب إفراده بالعبادة على ما هو متقرر في فطر جميع الخلق مؤمنهم، وكافرهم من أن الخالق هو الله، وأن الرازق هو الله فإذا اعترف العبد أن الذي خلق هو الله، وأن الذي بسط الأرض وجعلها مهدة يتحرك فيها الناس، والذي رفع السماء سقفًا محفوظًا، والذي أنزل من السحاب مطرًا فأنبت به أنواع النباتات من اعترف بأن المتفرد بذلك هو الله، وهذا الذي يعترف به جميع الخلق لزمه أن يفرد الله سبحانه وتعالى بالعبادة.

الله سبحانه وتعالى وتعالى كلف بهذا الأمر جميع الناس، وفي الحديث الذي أخرجه الإمام الترمذي والإمام أحمد في مسنده، وصححه الإمام الألباني من حديث الحارث الأشعري ﷺ أن الله سبحانه وتعالى أمر يحيى بن زكريا بخمس كلمات أي يعمل بهن، وأن يأمر بني إسرائيل أن يعملوا بهن أول هذه الكلمات الخمس: أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئًا فإن مثل ذلك كمثل رجل اشترى عبدًا من خالص ماله بورق، أو ذهب فجعل يعمل، ويؤدي إلى غير سيده، فأيكم يسره أن يكون عبده كذلك، وإن الله خلقكم، ورزقكم فاعبدوه، ولا تشركوا به شيئًا.

هذه أول الكلمات التي أمر الله عز وجل يحيى بن زكريا أن يبلغها بني إسرائيل.

وتأمل التقارب بين هذه الكلمات، وبين آية سورة البقرة ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ٢١].

اللهُ سبحانه وتعالى في آية أخرى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ﴾ [النحل: ٢٠].

هذا حال المعبودات التي عبدت من دون اللهِ سبحانه وتعالى هي مخلوقة مربوبة فلا نصيب لها في العبادة، وإنما يستحق العبادة من خلق فسوى، وقدر فهدى، ورزق جميع الخلق.

وبين اللهُ سبحانه وتعالى أن العبودية الحقة سبب لتحصيل التقوى التي هي السبب الأعظم للسعادة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمُ ٱلَّذِى خَلَقَكُمۡ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَتَّقُونَ﴾، ولهذا بين اللهُ عز وجل أن الأمر بعبادة غيره هو غاية الجهل يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ (٦٤) وَلَقَدْ أُوحِيَ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ لَئِنْ أَشْرَكْتَ لَيَحْبَطَنَّ عَمَلُكَ وَلَتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ (٦٥) بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنَ الشَّاكِرِينَ (٦٦) وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعًا قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٤ - ٦٧].

لم يعظم اللهُ حق عظمته ذلكم الذي عبد غيره، ودعا سواه، واستغاث بغيره كما هي الأمراض السارية في مجتمعات المسلمين، واللهُ المستعان!

﴿قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَأْمُرُونِّي أَعْبُدُ أَيُّهَا الْجَاهِلُونَ﴾ [الزمر: ٦٤] فالذي يأمر بعبادة غير اللهِ جاهل جاهل، والذي يعبد غير اللهِ كافر، كافر؛

لأن هذا الذي بينه ربنا سبحانه وتعالى في كتابه الكريم ﴿وَمَنْ يَدْعُ

مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ فَإِنَّمَا حِسَابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ﴾ [المؤمنون: ١١٧].

والمؤسف كما ذكرت أن هذه المرض العضال منتشر في مجتمعات المسلمين

النبي ﷺ ما بعث إلا للدعوة إلى التوحيد فقام بذلك أتم قيام، وصبر على ما أصابه من الأذى فكم ضُرب، وكم شُتم حتى إنه أخرج من مكة طريدًا؛ لأجل تقرير هذا الأصل

ولقد حمى النبي ﷺ حمى التوحيد بأعظم سياج .

جاءه رجل كما عند النسائي يقول يا رسول الله، ما شاء الله وشئت، فغضب ﷺ، وقال: «أجعلتني لله ندًا، بل ما شاء الله وحده».

وتأمل الآية التي صدّرنا بها الكلام ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ الْأَرْضَ فِرَاشًا وَالسَّمَاءَ بِنَاءً وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَكُمْ فَلَا تَجْعَلُوا لِلَّهِ أَنْدَادًا وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢٢].

والأنداد جمع ند، والند هو المثيل، والنظير، وليس المراد بجعل الند في هذه الآية أي يعتقد أنه قد شارك الله غيره في الخلق والرزق والإحياء، بل المراد بجعل الند أي يعبد مع الله سبحانه وتعالى غيره كما قال الله عز وجل عن أهل النار ﴿تَاللَّهِ إِنْ كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ (٩٧) إِذْ نُسَوِّيكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الشعراء: ٩٧، ٩٨] وإنما سووهم بالله عز وجل في الدعاء، والاستغاثة، والذبح، والنذر، وغيرها من أنواع العبادات.

غضب رسول الله ﷺ على الرجل الذي قال: «ما شاء الله وشئت» فماذا سيكون موقف رسول الله ﷺ من أناس يزعمون تعظيمه، ومحبته،

وهم يقولون:

ما في من زيك يا رسول الله اكسينا من زيك يا رسول الله
احنا بنريدك يا رسولنا وكلنا عبيدك يا رسولنا

ومن جملة ما يقوله :

خلينا في بالك، وارمينا بنبالك سهل لنا أمورنا، هواك في صدورنا

هذا شعر تُغني به، وأُنشد، ونُشر، وهو من الشرك الصراح.

(ما فيمن زيك يا رسول الله) هذا حق.

(اكسينا من زيك) وزيه الدين والعبادة والصلاح فهؤلاء يريدون الصلاح، والدين، والعبادة من رسول الله ﷺ، ثم كشفوا عن حقيقة الأمر الكُبار الذي هم عليه حينما قالوا:

خلينا في بالك، وارمينا بنبالك سهل لنا أمورنا، هواك في صدورنا

(سهل لنا أمورنا) أي شرك أكبر من هذا إلا ما يماثله، أو قد يفوقه مما يصدر عن هؤلاء الأقوام.

الأمر الذي كلف الله جميع البشرية به هو القيام بالعبودية الخالصة لله رب العالمين.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لكل خير!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، والقيام بهذه العبودية الحقة، والتوحيد الخالص سبب لتنزل البركات، ولحصول الخيرات، فلا سبيل إلى عيش مبارك ، وإلى حياة

سعيدة إلا بإفراد الله عز وجل بالعبادة، وإلا بإخلاص الدين له جل في علاه.

فقد أخرج الإمام أحمد والترمذي وصححه الإمام الألباني عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: «يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا تفعل ملأت يديك شغلًا، ولم أسد فقرك».

ربنا عز وجل يخاطب جميع البشرية التي نسبها إلى أول العابدين، وهو أبونا آدم عليه السلام.

«يا ابن آدم تفرغ لعبادتي» والتفرغ للعبادة فُسر بأن تجعل العبادة أعظم اهتماماتك، وأصل حياتك اجعل عبادة الله، وطاعته، اجعل صلتك بالله سبحانه وتعالى اجعلها هي الأصل في حياتك، وأما البطش لكسب الرزق فيأتي بعد ذلك، البطش لكسب الرزق مطلوب، لكن من غير أن يزاحم العبادة، من غير أن يزاحم العبادة، بل الواجب أن تجعل أعظم همومك، أن تقوم بالعبودية الحقة لربك سبحانه وتعالى، فإن فعلت ذلك.

يا ابن آدم تفرغ لعبادتي أملأ صدرك غنى، والغنى غنى النفس، الغنى الحقيقي هو القناعة التي يهبها الله سبحانه وتعالى للصالحين من عباده.

أما أولئك الذين أعرضوا عن عبادة ربهم وجعلوا لها فضول أوقاتهم، وتوجهوا بكليتهم إلى هذه الدنيا ينافسون على حطامها فهم على خطر عظيم.

كما ثبت في مسند الإمام أحمد، وفي سنن ابن ماجة من حديث عبد الله بن مسعود ﷺ أن النبي ﷺ قال: «مَنْ جَعَلَ الْهُمُومَ هَمًّا وَاحِدًا، هَمَّ آخِرَتِهِ، كَفَاهُ اللهُ هَمَّ دُنْيَاهُ، وَمَنْ تَشَعَّبَتْ بِهِ الْهُمُومُ فِي أَحْوَالِ الدُّنْيَا، لَمْ يُبَالِ اللهُ فِي أَيِّ أَوْدِيَتِهَا هَلَكَ»

والمعنى الآخر للتفرغ للعبادة :

«يا ابن آدم تفرغ لعبادتي» هو أنك إذا أقبلت على عبادة الله عز وجل بقلب مخلص مخبت لا يزاحم حب الله عز وجل فيه شيء آخر، بل تكون مخلصًا في عبادتك، متوجهًا بقلبك وجوارحك إلى ربك سبحانه وتعالى.

«يا ابن آدم تفرغ لعبادتي املأ صدرك غنى، وأسد فقرك، وإلا لم تفعل ملأت يديك شغلًا، ولم أسد فقرك».

فبعض الناس لا يزال في عمل دؤوب وإن جَمَعَ من الأموال ما لا يعد، ولا يحصى؛ لأن قلبه أصيب بالفقر، أما من توجه إلى ربه ومولاه فهو في سعادة وغنى.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لكل خير، وأن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا

خطر المخدرات

معاشر المسلمين، فإن العقل جوهرة نفيسة ميّز الله عز وجل بها الإنسان عن سائر الحيوان، فهو يهتدي بها إلى فعل ما ينفعه، وإلى اجتناب ما يضره، وتلك خاصة العقل، خاصة العقل أنها تدعو صاحبها إلى فعل ما ينفع، وإلى ترك ما يضر هذه الجوهرة النفيسة التي ميز الله عز وجل بها الإنسان تزداد نفاسة وحسنًا، وجمالًا إذا تنورت بنور الوحي، وإلا فإنها إن لم تتنور بنور الوحي كانت وبالًا وخسارًا على صاحبها.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ هُوَ الَّذِي أَنْشَأَكُمْ وَجَعَلَ لَكُمُ السَّمْعَ وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

فامتن الله سبحانه وتعالى على الآدميين بأن أوجدهم من العدم، ومنّ عليهم بسمع هم به يسمعون، وببصر هم به يبصرون، وبفؤاد هم به يعقلون و ﴿قَلِيلًا مَا تَشْكُرُونَ﴾ [الملك: ٢٣].

ذلكم أن العقل محله القلب، وله اتصال بالدماغ قال تعالى: ﴿أَفَلَمْ يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَتَكُونَ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا فَإِنَّهَا لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ﴾ [الحج: ٤٦].

فالعقل محله القلب، وله اتصال بالدماغ

العقل نعمة عظيمة، ولهذا فإن مدار الأوامر، والنواهي إنما يتناول من كان عاقلا ، فالتكليف يشترط له العقل، فمن كان مجنونًا فليس مكلفًا، وكذلك بارك الله فيكم، فإن الشريعة عرفت للعقل منزلته، ولهذا جعلته إحدى الضروريات الخمس التي عنت بها وجاءت بتشريعات كثيرة لحمايتها، ومن جملة هذه التشريعات في حماية العقل، وفي المحافظة عليه أن الشريعة

حرمت شرب الخمر، الخمر كل ما خامر العقل، وغطاه، وستره، وأزاله.

حرمت الشريعة الخمر، بل جعلته من أكبر الكبائر، ويأخذ حكم الخمر في ذلك تعاطي المخدرات، فالمخدرات حرام لا تجوز، ومن جملة الأدلة على تحريم تعاطي المخدرات قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ﴾ [الأعراف: ١٥٧].

هذا إخبار من رب العزة والجلال عما بعث به نبينا محمد ﷺ من التشريعات السامية

ومن ضمن هذه التشريعات أنه جاء بحل الطيبات، وبتحريم الخبائث.

ولا ريب أن كل عاقل لا يتردد في أن المخدرات خبيثة، بل هي أشد خبثًا من الخمر فهي محرمة، وجاء في سنن ابن ماجة عن عبادة بن الصامت رضي الله عنه وحسنه الإمام الألباني بمجموع طرقه وشواهده أن النبي ﷺ قال: «لا ضرر ولا ضرار».

اشتمل هذا الحديث على إرساء قاعدة جليلة وهي أنه متى وجد الضرر فهنالك التحريم، ولا ريب أن أضرار المخدرات من كثرتها لا يمكن حصرها، ولا إحصاؤها، وقد أشرت إلى أن الشريعة حرمت الخمر، والمخدرات أخبث وأخطر من الخمر.

قال الله عز وجل: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (٩٠) إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهُونَ﴾ [المائدة: ٩١].

كانت الخمر في أول الإسلام مباحة على البراءة الأصلية، ثم جاء النص

بتحريمها، وتأمل فإن من اعتاد على شرب الخمر يعسر عليه أن يتركها مرة واحدة، لكن تلك القلوب الطاهرة، تلك الأنفس الزكية، تلك الأرواح التي تعلقت بالآخرة، أصحاب محمد رضوان الله عليهم لما نزلت هذه الآية التي اشتملت على تحريم الخمر ما تلكئوا، ولا تباطأوا، ولا ترددوا

وتذكر قصة أبي طلحة الأنصاري، وجماعة ممن كان يعاقر معه الخمر لما سمعوا صائحًا ينادي بأن الخمر قد حرمت أمر أبو طلحة أنس بن مالك أن يعمد إلى جرار خمر فيكسرها حتى يهراق ما فيها.

وتأمل هذه الآية، فإنك لست ناظرًا في مفسدة من مفاسد الخمر إلا وجدت نظيرها في المخدرات، ﴿إِنَّمَا يُرِيدُ الشَّيْطَانُ أَنْ يُوقِعَ بَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةَ وَالْبَغْضَاءَ فِي الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ﴾ [المائدة: ٩١] فكم حصل بسبب تعاطي المخدرات من عداوات، وبغضاء، بل تعدى الأمر إلى سفك للدماء، بعض من يتعاطى المخدرات قتل أباه، وأمه، وقتل بعض إخوانه.

﴿وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَعَنِ الصَّلَاةِ﴾ [المائدة: ٩١] والذي يتعاطى المخدرات قد أظلم قلبه، وأصابت الوحشة روحه فلا يأنس بقرآن، ولا يطمئن إلى صلاة، ولا ينشرح صدره لذكر الله رب العالمين، أسلم قياده إلى الشيطان فهو يلعب به كيفما شاء.

في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال في حديث متفق على صحته : «لا يزني الزاني حين يزني وهو مؤمن، ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، ولا يشرب الخمر حين يشربها وهو مؤمن» زاد مسلم «ولكن التوبة معروضة بعد».

الذي يعاقر الخمر، ويتعاطى المخدرات في حال تعاطيه لهذا المخدر

الخبيث فإن الإيمان يرتفع منه حتى يصير كالظلة فوق رأسه؛ ذلكم أن الإيمان يمنع من هذا الفعل الخبيث.

وقد أخرج الحاكم وحسنه الإمام الألباني عن ابن عباس ﷺ أن النبي ﷺ قال: «اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر».

وروى الطبراني أن جماعة من أصحاب النبي ﷺ تفاوضوا في أكبر الكبائر، فلما بلغ ذلك عبد الله بن عمرو بن العاص ذكر أن شرب الخمر أكبر الكبائر، ثم نزع بحديث عن رسول الله ﷺ، والحديث صححه الإمام الألباني.

ذلكم أن ملكًامن ملوك بني إسرائيل أخذ رجلًا فخيره بين أن يشرب الخمر، أو أن يزني، أو أن يقتل نفسًا، أو أن يأكل خنزيرًا، وإلا قتلوه، فاختار أن يشرب الخمر قال: فما امتنع من شيء أرادوه منه.

شرب أم الخبائث، وبعد أن زال عقله ما امتنع من شيء أرادوه منه، قتل وزنى، وأكل لحم الخنزير.

«اجتنبوا الخمر فإنها مفتاح كل شر» وكذلك المخدرات، فإن المخدرات مفتاح كل شر.

المخدرات يُستهدف بها شبابنا لا سيما طلاب الجامعات، بل وللأسف وطالبات الجامعات.

المخدرات التي انتشرت بين شريحة كبيرة من أبنائنا، فأبعدتهم عن ربهم عز وجل ، وجعلتهم ألعوبة في يدي أهل الباطل.

كم من مآسٍ، ومصائب انبنت على تعاطي المخدرات، فإن الواحد في سبيل تعاطي المخدرات التي يحتاجها جسدها لإدمانه كما يحتاج الطعام

والشراب مستعد أن يفعل كل شيء، حتى إن بعضهم ربما باع عرضه، وبعضهم صار مجرمًا.

الشريعة جاءت بقواعد لا يشك من نظر فيها أن هذه المخدرات التي أذهبت عقول كثير من الناس هي من أخطر وأقبح المحرمات

بعض من يتعاطى المخدرات جن، صار مجنونًا، وهذا قليل من كثير.

أسأل الله عز وجل أن يحمينا من كل سوء ومكروه!

✍الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، لا ريب أن هناك أسبابًا كثيرة تحمل بعض الناس على تعاطي المخدرات، وأكبر سبب يرمي بكثيرين إلى تعاطي المخدرات هو الفراغ الروحي والإيماني، ذلكم أن من كان قلبه عامرًا بتوحيد الله، ومحبة الله، فإنه قد ضرب حاجزًا كثيفًا بينه وبين المحرمات، لأنه يخاف ربه، ولأنه يراقبه، ولأنه يعلم أنه سيمضي طال الزمن، أو قصر إلى تلك الحفرة الضيقة التي لا يكون معه فيها إلا عمله فيحجزه ذلك عن جميع المعاصي.

ضعف الإيمان، وضعف الوازع الإيماني والروحي وهذا بلاء استشرى بين أبناء المسلمين وظهرت آثاره ومنها انتشار تعاطي المخدرات

ومن أعظم أسباب ذلك أن أكثر الآباء لم ينهضوا بالمهمة التي كلفهم بها رب العزة والجلال، ولأن المجتمع إلا من رحم الله لا يعين على صلاح، ولا على استقامة، فراغ روحي إيماني، وشياطين إنس وجن بالمرصاد فيهلك من يهلك.

ومن أسباب تعاطي المخدرات الصحبة الفاسدة، فإن كثيرًا من الشباب

ارتمى في أحضان باعة المخدرات ومروجيها بسبب أولئك الذين ألقوا له طعمًا فأكل هذا الطعم فصار أسيرًا في أيديهم.

الرفقة والصحبة الفاسدة من أسباب تعاطي المخدرات وقد جاء في الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «مثل الجليس الصالح، والجليس السوء كحامل المسك، ونافخ الكير، فنافخ المسك؛ إما أن يحذيك، وإما أن تبتاع منه، وإما أن تجد منه ريحًا طيبًا، ونافخ الكير؛ إما أن يحرقك ثيابك، وإما أن تجد منه ريحًا خبيثة».

ما أروع هذا المثل الذي ضربه النبي ﷺ الله حضًا على مرافقة الصالحين، ومصاحبتهم، وتحذيرًا من مصاحبة الفاسدين الطالحين الذين خلت قلوبهم من محبة الله، وتوحيده، وطاعته!

ومن أسباب تعاطي المخدرات تقصير الأسر عن القيام بواجبها، فإن كثيرًا من الأسر لم تعد تلقي بالًا للمهمة العظيمة التي كلفها الله رب العالمين، لا يتابع أولاده، لا بنصح، ولا بإرشاد، ولا بتنشئة صالحة، ولا بحض على أن يرتادوا المساجد، وأن يلازموا الصالحين، وأن يحرصوا على حضور حلق العلم، لا يقومون بهذا الواجب

يطعم، ويدخل جامعات حتى يأتيه الخبر كالصاعقة بأن ابنك يتعاطى المخدرات وأنه سرق أو قتل فيقال له في الصيف ضيعت اللبن!

ومن أسباب تعاطي المخدرات هذه الثقافات الوافدة التي غزت عقول أبنائنا، ألستم ترون كثيرًا من الشواهد على أن أبنائنا إلا من رحم الله صاروا صرعى للثقافات الأجنبية الهابطة الوافدة.

أكثر الشباب اليوم يتقمصون ما يسمى بالهب هوب

أكثر الشباب تأثروا بالكفار هذا منتشر في مشيتهم، في ألبستهم و هي ثقافة قائمة على الرذيلة، وعلى تعاطي المخدرات.

فهذا المسكين يمضي رويدًا، رويدًا إلى أن يتشرب هذه الثقافة، فيكون عربيدًا، سكيرًا مخمورًا زانيًا، وما هو أقبح من ذلك.

إن هذا البلاء العظيم الذي يواجه كثيرًا من شباب المسلمين لا بد أن يحارب، وأعظم سبب لمواجهته أن يقوم المجتمع بواجبه في الأمر بالمعروف، والنهي عن المنكر، وفي الاحتساب على المخالفين.

أعظم سبب للنجاة من خطر المخدرات وغيرها هو التدين السلفي الإيماني الذي فيه تمسك بالتوحيد، وبالسنة، وبالإيمان، وبالأعمال الصالحة.

أسأل الله عز وجل أن يغفر ذنوبنا، وأن يصلح أبنائنا، وأن يحفظهم،وأن يحميهم من كل شر، وأن يوفقهم للاستقامة على دينه.

رأس الهدى التوحيد

داعي الهدى وداعي الضلالة

معاشر المسلمين، فهنا داعيان بينهما في الفضل، والمنزلة أعظم مما بين السماء، والأرض

أما أولهما فداع مستضيئ بنور الله مترسم خطى رسول الله ﷺ، يدعو بعلم، وحلم من كتاب الله عز وجل إلى كتاب الله يقتدي في ذلك، ويتبع رسول الله ﷺ، الذي قال عنه رب العزة والجلال: ﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا﴾ [الأحزاب: ٤٥، ٤٦].

النبي ﷺ هو السراج المنير

تتبدد الظلمات بالنور الذي بعثه به رب العزة والجلال

كان الناس في ظلمة، وفي ليل أسود حالك فبُعث رسول الله ﷺ؛ للدعوة إلى توحيد الله، وإفراده بالعبادة فانقشعت به الظلمات

هذا داعٍ يقوم بأعظم وظيفة في الوجود قال سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ أَحْسَنُ قَوْلًا مِمَّنْ دَعَا إِلَى اللَّهِ وَعَمِلَ صَالِحًا وَقَالَ إِنَّنِي مِنَ الْمُسْلِمِينَ﴾ [فصلت: ٣٣].

وكما ذكرت فإنه يسير خلف رسول الله ﷺ، وبذلك يكون من أتباعه قال تعالى ﴿قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ﴾ [يوسف: ١٠٨].

والنبي ﷺ يقول كما في صحيح مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه: «مَنْ دَعَا إِلَى

هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا، وَمَنْ دَعَا إِلَى ضَلَالَةٍ، كَانَ عَلَيْهِ مِنَ الْإِثْمِ مِثْلُ آثَامِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ ذَلِكَ مِنْ أَوْزَارِهِمْ شَيْئًا». أنه فوز عظيم، ومقام كريم أن تشارك بعلم في وظيفة الدعوة إلى الله، وما اهتدى أحد بدعوة إلا نالك من الأجر من غير أن ينقص أجره

وفي الصحيحين عن سهل بن سعد ﷺ أن النبي ﷺ قال لعلي بن أبي طالب: «انْفُذْ عَلَى رِسْلِكَ، حَتَّى تَنْزِلَ بِسَاحَتِهِمْ، ثُمَّ ادْعُهُمْ إِلَى الْإِسْلَامِ، وَأَخْبِرْهُمْ بِمَا يَجِبُ عَلَيْهِمْ مِنْ حَقِّ اللهِ فِيهِ، فَوَاللهِ لَأَنْ يَهْدِيَ اللهُ بِكَ رَجُلًا وَاحِدًا خَيْرٌ لَكَ مِنْ أَنْ يَكُونَ لَكَ حُمْرُ النَّعَمِ».

يقول النبي ﷺ: «مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى» ورأس الهدى توحيد الله.

فالداعي إلى الله يركز على دعوة الناس إلى إفراد الله بالعبادة، وإلى خلع الانداد التي تعبد من دونه، وبذلك بعث الله جميع الرسل ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا﴾ [الأنبياء: ٢٥] بهذا بعث الله جميع الرسل، وقال سبحانه عن الوحي الذي ينزله على رسله، وأنبيائه ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

فتأمل كيف أن الله سبحانه وصف الوحي بأنه روح فلا حياة بدون العمل بالوحي، وبين أن هذه الروح، وأن هذا الوحي يقوم على توحيد الله ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

«مَنْ دَعَا إِلَى هُدًى، كَانَ لَهُ مِنَ الْأَجْرِ مِثْلُ أُجُورِ مَنْ تَبِعَهُ، لَا يَنْقُصُ

ذَلِكَ مِنْ أُجُورِهِمْ شَيْئًا» رأس الهدى توحيد الله سبحانه وتعالى يقول عز وجل: ﴿قُلْ أَنَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُنَا وَلَا يَضُرُّنَا وَنُرَدُّ عَلَى أَعْقَابِنَا بَعْدَ إِذْ هَدَانَا اللَّهُ كَالَّذِي اسْتَهْوَتْهُ الشَّيَاطِينُ فِي الْأَرْضِ حَيْرَانَ لَهُ أَصْحَابٌ يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى﴾ [الأنعام: ٧١] المراد بالهدى هنا التوحيد ﴿يَدْعُونَهُ إِلَى الْهُدَى ائْتِنَا قُلْ إِنَّ هُدَى اللَّهِ هُوَ الْهُدَى وَأُمِرْنَا لِنُسْلِمَ لِرَبِّ الْعَالَمِينَ﴾ [الأنعام: ٧١] إنما أمروا بتوحيد الله وبإسلام الوجه له بإفراده بالعبادة.

داعية قد استنار باطنه فظهر ذلك على ظاهره تمسكًا بالكتاب، والسنة لا يدعو إلى شرك، ولا بدعة، ولا إلى ضلالة يدعو إلى أعظم قضية، وهي قضية توحيد الله، ويدعو إلى استقامة على شرع الله فيا طوبى له.

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان تكلمنا عن الداعي الأول، أما الداعي الآخر فهو الذي تنكب صراط الله المستقيم، وتلاعبت به الأهواء فإنه إن دعا بشيء من النصوص أخذ بالمتشابهات ﴿هُوَ الَّذِي أَنْزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ تَأْوِيلِهِ﴾ [آل عمران: ٧] .

إن تعلق بشيء من النصوص؛ فلفساد باطنه يبحث عن المتشابهات حتى يؤسس بناءً فاسدًا من الشرك، والباطل قال الله سبحانه وتعالى عن أمثال هؤلاء: ﴿وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ﴾ [القصص: ٤١] هؤلاء الدعاة إلى الباطل ورأسهم إبليس عليه لعائن الله!

قال تعالى : ﴿أَوَلَوْ كَانَ الشَّيْطَانُ يَدْعُوهُمْ إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ﴾ [لقمان: ٢١].

وقال تعالى: ﴿إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾ [فاطر: ٦] دعاة إلى الباطل، دعاة إلى الشرك، والخرافة ما أقبح أثرهم على الناس ينشرون الباطل!

فمثل هؤلاء يحذرون، ويبتعد عنهم

يبتعد عنهم المسلم أشد من ابتعاد الصحيح من المجزوم؛ لأن مرضهم يصيب القلب فيكون المسكين من وفده إلى النار.

هم الذين يدعون إلى الشرك، ويزينونه بين الناس

الدين قام على توحيد الله، وهؤلاء يدعون إلى أن تتعلق بالأنبياء، والصالحين، وأن تستغيث بهم من دون الله سبحانه وتعالى.

تأمل يا عبد الله قول الله عز وجل: ﴿و يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١] كيف يدعونه إلى النار؟ ﴿تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ وَأَنَا أَدْعُوكُمْ إِلَى الْعَزِيزِ الْغَفَّارِ﴾ [غافر: ٤٢] الفرق شاسع بين الدعوتين داع يدعو إلى توحيد الله، وطاعته، والاستقامة على شرعه، وداع يدعو إلى الشرك بالله تعالى، وإلى التعلق بالأنبياء، وإلى التعلق بالصالحين ﴿و يَا قَوْمِ مَا لِي أَدْعُوكُمْ إِلَى النَّجَاةِ وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ﴾ [غافر: ٤١].

ولذلك قال الله تعالى: ﴿أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ و الْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ﴾ [البقرة: ٢٢١].

قال البغوي: أولئك يدعون إلى النار هم المشركون

﴿وَتَدْعُونَنِي إِلَى النَّارِ (٤١) تَدْعُونَنِي لِأَكْفُرَ بِاللَّهِ وَأُشْرِكَ بِهِ مَا لَيْسَ لِي بِهِ عِلْمٌ﴾ [غافر: ٤١، ٤٢] وهذا هو حال الشرك.

والنبي ﷺ، يقول كما في الصحيحين بعد أن سأله حذيفة بن اليمان رضي الله عنه «فَقُلْتُ: هَلْ بَعْدَ ذَلِكَ الْخَيْرِ مِنْ شَرٍّ؟ قَالَ: «نَعَمْ، دُعَاةٌ عَلَى أَبْوَابِ جَهَنَّمَ مَن أَجَابَهُمْ إِلَيْهَا قَذَفُوهُ فِيهَا»، فَقُلْتُ: يَا رَسُولَ اللهِ، صِفْهُمْ لَنَا، قَالَ: «قَوْمٌ مِنْ جِلْدَتِنَا، وَيَتَكَلَّمُونَ بِأَلْسِنَتِنَا»، هم من العرب ويتكلمون بالعربية وقد يؤتون فصاحة لكن دعوتهم إلى ماذا؟

خالفوا دعوات الأنبياء والمرسلين

منهم الجفري ، علي الجفري يقول عمن يزعمهم أولياء :

هم قوم إذا أرادوا أراد الله والله تعالى يقول: ﴿وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ﴾ [التكوير: ٢٩].

ويقول : في بعض الكتب السماوية أن الله تعالى يقول : عبدي أطعني أجعلك تقول للشيء كن فيكون.

ومعلوم أن هذا خاصة الله وصفته ﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ولهذا فان القرافي المالكي ذكر أن القول بأن بعض الأولياء يصل إلى مرحلة أن يقول للشيء كن فيكون إنما هو من أقوال جهال الصوفية.

الجفري يقول عن النبي ﷺ : هو الذي يفرج عني، وعنك يوم القيامة هو غياثنا في الدنيا، وفي البرزخ، ويوم القيامة !

ماذا ترك لله رب العالمين؟

علّق القلوب بغير الله في أعظم مطلوب، وهو النجاة في الآخرة، وكم له

من ضلالات، ودعوة للشركيات!

في المسند، وصححه الإمام الألباني خط رسول الله ﷺ خطًا، وقال هذا سبيل الله، ثم خط خطوطًا عن يمينه، وشماله، ثم قال هذه السبل على رأس كل سبيل منها شيطان يدعو الناس إليه

هذا من الدعاة إلى سبيل الشيطان

ثم قرأ ﴿وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيمًا فَاتَّبِعُوهُ وَلَا تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ﴾ [الأنعام: ١٥٣].

فالواجب أن يُناصر دعاة الحق و دعاة التوحيد، ويُعرض عن دعاة الشرك والتنديد

فأعرضوا عنهم لا تفتحوا لهم الأبواب، ولا تسمعوا لهم؛ لأن الامر متعلق بدين الله وبحق الله رب العالمين، والله المستعان، وهو الهادي، وبارك الله فيكم!

تجارة الدنيا

من أحكام التجارة

معاشر المسلمين، فقد تكلمنا في خطبة الجمعة الماضية عن تجارة الآخرة، وهي التجارة الرابحة التي يحمد صاحبها عمله في الدنيا والآخرة

فرَغِبَ إليّ بعض الفضلاء أن أتكلم عن تجارة الدنيا، ولا ريب أن استيفاء الكلام عن التجارة وأحكامها، وآدابها لا تتسع له مثل هذه العجالة، ولكن حسبي أن أشير إشارات، وأن أُذكّر بمهمات.

التجارة التي هي تحريك المال بيعًا، وشراء طلبًا للربح إذا اعتمد فيها العبد على ربه عز وجل فكان متوكلًا عليه، ولم يعتمد على حذق، ولا معرفة، ولا على أسباب، ثم كانت تجارته متفقة مع الشرع، ليس فيها كذب، ولا غش، ولا خداع، ولا معاملات محرمة فهي من أطيب وجوه الكسب وأفضلها وأبركها.

أخرج الإمام أحمد عن رافع بن خديج رضي الله عنه، وصححه الإمام الألباني أن النبي صلى الله عليه وسلم سئل أي الكسب أفضل يا رسول الله فقال: «عمل الرجل بيده، وكل بيع مبرور».

فمن أفضل المكاسب البيع المبرور الذي ليس فيه كذب، ولا أيمان فاجرة، ولا غش، ولا خداع

والتجارة بهذه الشروط والقيود جعلها الله سبحانه وتعالى من ابتغاء فضله فقال عز وجل: ﴿وَآخَرُونَ يَضْرِبُونَ فِي الْأَرْضِ يَبْتَغُونَ مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [المزمل: ٢٠] يريد في المكاسب، والتجارات.

وقال الله سبحانه وتعالى مخاطبًا أولئك الذين هم وفد الله الحجاج والعمار ﴿لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلًا مِنْ رَبِّكُمْ﴾ [البقرة: ١٩٨]

فأباح الله عز وجل لهم أي يتاجروا في تلك البقاع المقدسة بشرط ألا تشغلهم تلكم التجارة عن عبادة الله عز وجل، وعن أداء المناسك.

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ﴾ [الجمعة: ١٠].

أمر الله عز وجل المسلمين إذا انقضت عبادة صلاة الجمعة أن ينتشروا في الأرض طالبين فضل الله عز وجل ورزقه، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [الجمعة: ١٠].

تعملون أن التجارات التي تكون في الأسواق ربما أدت بصاحبها إلى الغفلة فأمر الله عز وجل بكثرة ذكره، وجعله سببًا للفلاح، ﴿فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانْتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِنْ فَضْلِ اللَّهِ وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ (١٠) وَإِذَا رَأَوْا تِجَارَةً أَوْ لَهْوًا انْفَضُّوا إِلَيْهَا وَتَرَكُوكَ قَائِمًا قُلْ مَا عِنْدَ اللَّهِ خَيْرٌ مِنَ اللَّهْوِ وَمِنَ التِّجَارَةِ وَاللَّهُ خَيْرُ الرَّازِقِينَ﴾ [الجمعة: ١٠، ١١].

نبه الله سبحانه وتعالى على أمر قد يتورط فيه بعض من يطلب فضل الله ورزقه بالتجارة وغيرها، وهي أن ينشغل بها عن طاعة الله، وأخبر أن طاعة الله، وأن عبادته خير من أموال الدنيا كلها إذا شغلت عن ذكره.

ولهذا فإن المسلم يتجر في الأسواق، لكن لا يغفل عن تجارة الآخرة، لا سيما في المساجد، فإن أحب البقاع إلى الله المساجد، وأبغض البقاع إلى الله الأسواق كما قال النبي ﷺ.

قال تعالى: ﴿فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ (٣٦) رِجَالٌ لَا تُلْهِيهِمْ تِجَارَةٌ وَلَا بَيْعٌ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ﴾ [النور: ٣٦، ٣٧].

ذكر الآخرة لا يفارق قلوبهم، يتذكرون ذلك اليوم الذي أخبر عنه رب العزة فقال: ﴿يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ (٨٨) إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ﴾ [الشعراء: ٨٨، ٨٩].

التجارة الدنيوية التي يعتمد فيها العبد على رب البرية، ويجري معاملاته على الطرق الشرعية من أفضل الأعمال يدل على ذلك ما أخرجه الترمذي، وصححه الإمام الألباني عن أبي سعيد الخدري ﷺ عن رسول الله ﷺ قال: «إن التاجر الصدوق الأمين مع النبيين والصديقين والشهداء».

«إن التاجر الصدوق الأمين» فهو صدوق في قوله، وعمله لا يكذب، ولا يغش، « الأمين» فالأمانة حليته، وصفته؛ لأنه قبل أن يقدم على عمل، أو على بيع فإنه يعرض نفسه على ربه عز وجل، وعلى ميزانه، ويعرض نفسه على ذلك الموقف العظيم عند لقاء الله سبحانه وتعالى.

«إن التاجر الصدوق الأمين» في أرفع المنازل مع النبيين والصديقين والشهداء، لكن بشرط أن يتقي الله أن يكون صدوقًا وهذه صيغة مبالغة أن يكون أمينًا أن يتقي رب العزة والجلال.

وأخرج الترمذي وصححه الإمام الألباني عن رفاعة بن رافع ﷺ أنه خرج مع رسول الله ﷺ إلى المصلى فرأى الناس يتبايعون عند المصلى فقال: «يا معشر التجار فاستجابوا لرسول الله ﷺ فرفعوا أعناقهم، وأبصارهم إليه فقال: «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا» لا إله إلا الله «إلا من اتقى الله، وصدق وبر».

الذي يزاول التجارة إذا لم يتقِ الله سبحانه وتعالى بُعث خاسرا فاجرا

ولهذا أنبه إلى أن من تقوى الله أن تتعلم أحكام البيوع، وألا تقدم على بيع إلا بعد معرفة حكمه، ولهذا روى الترمذي وحسن إسناده الإمام الألباني

عن عمر بن الخطاب ﷺ قال: «لا يبع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين».

عمر رضي الله عنه الخليفة الراشد أصدر توجيهًا، وقرارًا وهو توجيه شرعي لا يبع في سوقنا إلا من قد تفقه في الدين، يعني من تفقه في أحكام البيوع، وعرف ما يحل، وما يحرم فأخذ ما يحل، وترك ما يحرم

أما أن يُسرع إلى التجارة، ولا يبالي بحلال، ولا حرام «إن التجار يبعثون يوم القيامة فجارًا إلا من اتقى الله» فلم تحمله محبة المال على مخالفة الشرع «وصدق وبر».

ولذلك جاء في الحديث وله طرق وصححه الإمام الألباني أن النبي ﷺ قال: «إن روح القدس» جبريل رسول رب العالمين «إن روح القدس نفث في روعي أن نفسًا لن تموت حتى تستكمل أجلها، ورزقها، فاتقوا الله وأجملوا في الطلب» اطلبوا الرزق طلبًا جميلًا بلا جشع، ولا طمع، ولا لهث، ولا لهفة، ومن غير أن تتقصدوا الحرام.

«فاتقوا الله وأجملو ا في الطلب، خذوا ما حل، ودعوا ما حرم، ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله».

بعض الناس يشرع في التجارة، فيصيبه الكساد، وتتأخر معاملاته، وبيعه لتجارته فلا يصبر فيرتكب المحرمات. «ولا يحملنكم استبطاء الرزق على أن تطلبوه بمعصية الله، فإن ما عند الله لا ينال إلا بطاعته» إياك أن تغرك الدنيا، وأن تكون نظرتك قاصرة على هذا المتاع الزائل تذكر الآخرة.

الرزق المبارك فيه إنما ينال بالصدق وتقوى الله.

في الصحيحين عن حكيم بن حزام ﷺ أن النبي ﷺ قال: «البيعان بالخيار ما لم يتفرقا، فإن صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا وكتما محقت بركة بيعهما».

«فإن صدقا» في الإخبار عن السلعة، وعن حقيقتها، « وبينا » فذكرا ما في السلعة من عيوب، أصابا البركة.

واثلة بن الأسقع ﷺ باع دابة، باعها وكيله ولده وكان ﷺ غائبًا فلما رجع وفي لفظ أنه باع دابة فلما خرج صاحب الدابة التي اشتراها فرحًا بها لحقه واثلة بن الأسقع لحقه، أسرع خلفه، وكانت ثمينة طيبة فارهة تعجب الأنظار وباعها بيعًا طيبًا فقال: «أتريدها للحم، أم للركوب؟» قال: أريد أن أحج بها، قال: «لا تصلح إن فيها نقبًا في خفها، لا تصلح للسفر، قال: أريدها، قال: لا، ما تصلح للسفر، هذه تصلح للحم».

هذا دينهم وأمانتك فهؤلاء كانوا أتقياء فبارك الله سبحانه وتعالى لهم في تجاراتهم. «فإذا صدقا وبينا بورك لهما في بيعهما، وإن كذبا، وكتما محقت بركة بيعهما» إذا كذب فادعى في السلعة ما ليس فيها، أو كتم ما في السلعة من عيوب فماذا يقال عمن يتعمد أن يخفي عيوب السلعة!

بالتدليس يحاول أن يجتهد لإخفاء عيوب السلعة بحيث أنه لا يدرك هذه العيوب إلا متخصص، وأما الكذب والخداع، والغش في أسواق المسلمين فحدث ولا حرج إلا من رحم الله.

والله بعض الناس يبيع لك نوعًا من الفاكهة على أنه آخر، تشتري هذا النوع من الفاكهة على أنه كذا، تذهب بها بيتك تفتحه فإذا هو نوع آخر، وفاسد، حسبنا الله ونعم الوكيل!

ولهذا ثبت عند ابن ماجة من حديث عقبة بن عامر ﷺ أن النبي ﷺ قال: «المسلم أخو المسلم ولا يحل لمسلم أن يبيع أخاه بيعًا وفيه عيب إلا بينه».

بيان العيوب واجب، ذكر ما في السلعة من العيوب واجب حتم على كل بائع.

أسأل الله أن يصلح قلوبنا، وأن يوفقنا للاستقامة على شرعه!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان المسلم الموفق حريص على ألا يدخل بطنه ولا بطن أهله إلا ما هو حلال، وذلك أن رسول الله ﷺ أخبر أن أول ما ينتن من ابن آدم بطنه، وثبت عن النبي ﷺ أن كل لحم نبت من سحت فالنار أولى به.

الذي يعظم بطنه، ويعظم جسده بالحرام فهو يعظمه للنار، والله المستعان!

والمشاهد أن أسواق المسلمين تعج بكثير من أنواع البيوع المحرمة، وأقبحها الربا حتى إن ربا الجاهلية يُتعامل به في البلاد الإسلامية، ربا الجاهلية الذي في حجة الوداع قال النبي ﷺ في خطبة حجة الوداع قال: «وإن ربا الجاهلية موضوع تحت قدمي هاتين، وأول ربا أضعه ربا العباس» وضع الباطل تحت قدميه فاستخرجه بعض المسلمين ورفعوه فوق الرؤوس.

ربا الجاهلية تعطى دينًا على أن ترده بزيادة بعد شهر، فإن عجزت أمهلوك وزادوا عليك هذا ربا الجاهلية، وكثير من أنواع المضاربات تقوم على الربا.

المضاربة التي يكون المال فيها من أحدهما والعمل من الآخر يعطيه مالًا مضاربة ويقول في المائة جنيه هذا ربا، يقول: في المائة جنيه إذا مليارات بحسابها، ولا يبالي أربح، أم خسر، أم ماذا؟

هذا حرام لا يجوز، المضاربة التي أجمع العلماء على جوازها تكون بنسبة مشاعة من الربح؛ أي يتفقا على ربع، أو خمس، أو غيره.

ومن المحرمات أن يتاجر في المحرمات، أن يتاجر فيما حرم الله سبحانه وتعالى كأي يتاجر في المخدرات، أو في الخمور، أو أن يتأجر في الصور الخليعة، أو أن يتاجر ببيع السجائر هذا كله حرام لا يجوز.

وقد ثبت عند أبي داود وصححه الإمام الألباني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قال: «وإن الله إذا حرم على قوم شيئا حرم ثمنه» ما كان حرامًا فإنه يحرم التجارة فيه، ولا تجوز.

وإياك أن تغتر بأرباح ظاهرة، فإن مآلها إلى أن تُمحق فلا يبقى منها خير.

ومن المحرمات في التجارة الغش؛ في صحيح مسلم أن النبي ﷺ مر برجل عنده كومة من تمر فأدخل يده فيها فأصابه البلل، فقال: «ما هذا يا صاحب التمر؟» قال يا رسول الله، أصابته السماء، قال: «أفلا جعلته فوق حتى يراه الناس، مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

هذا ستر التمر المبلول بالتمر الجاف خداعًا «مَنْ غَشَّنَا فَلَيْسَ مِنَّا».

وحدث ولا حرج عن أنواع الغش في التجارات

ومن أعظم المخالفات في البيع وهذا أمر مشاهد كثرة الحلف، والحلف الكاذبة في صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «إِيَّاكُمْ وَكَثْرَةَ الحَلِفِ فِي البَيْعِ، فَإِنَّهُ يُنَفِّقُ ثُمَّ يَمْحَقُ».

الحلف وكثرته يحصل به البيع، لكن مآله إلى المحق إلى ذهاب البركة.

وأخرج ابن حبان، وحسنه الإمام الألباني وهو حديث يخيف القلوب المؤمنة عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «مر أعرابي بشاة فقلت تبيعها بثلاثة دنانير؟ قال: لا، والله، أو كما جاء في الخبر، قال: لا والله، قال: ثم باعها، فذكرت ذلك لرسول الله ﷺ فقال: باع آخرته بدنياه».

باع آخرته بدنياه يعني لما قال: والله، ما أبيعها، ولعله يريد أن يرغبه في السلعة، ثم باعها.

ولهذا قال النبي ﷺ: «الْيَمِينَ الْفَاجِرَةَ مُنْفِقَةٌ لِلسِّلْعَةِ مُمْحِقَةٌ لِلْكَسْبِ»

اليمين الفاجرة الكاذبة، ولهذا فالبيع يكثر فيه الحلف، والكذب وغيره.

وعند أصحاب السنن عن قيس بن أبي غرزة ﷺ قال: خرج علينا رسول الله ﷺ ونحن نسمى السماسرة، فقال: «يا معشر التجار، إن الشيطان والإثم يحضران البيع فشوبوا بيعكم بالصدقة».

الشيطان والإثم، واللغو والكذب يحضر البيع فشوبوا اخلطوا بيعكم بالصدقات، ﴿إِنَّ الْحَسَنَاتِ يُذْهِبْنَ السَّيِّئَاتِ﴾ [هود: ١١٤].

ومن المخالفات في البيوع وهي كثيرة أن يبيع الإنسان ما لا يملك، أن يبيع الإنسان ما لا يملك يأتيك زبون يقول أريد الصنف الفلاني يقول: نعم، هو بكذا، وليس عندك، ثم تشتريه من السوق.

وجاء في الحديث «لا تبع ما ليس عندك» وفيه: «ونهى عن ربح ما لم يضمن».

فالمسلم إذا زاول التجارة وهي من أفضل المكاسب اتقى فيها ربه سبحانه وتعالى

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لكل خير، وبارك الله فيكم!

قصة سلمان الفارسي

الجواهر الحسان من قصة سلمان

معاشر المسلمين، فمن القصص الرائعة العظيمة

والتي اشتملت على بيان عظيم توفيق الله سبحانه وتعالى لمن أراد له السعادة من عباده، كيف أن الله عز وجل يسوقه إلى الهداية سوقًا تتحير منه العقول، ويتعجب منه الأذكياء.

واشتملت على بيان نموذج من همم الموفقين

همم عالية يمن الله سبحانه وتعالى بها على السعداء من عباده

همم لا تزال تحملهم إلى أن يترقوا في مدارج العز، والخير عند رب البرية سبحانه وتعالى.

واشتملت كذلك على الدلالة على ما كان عليه المجتمع الأول مجتمع رسول الله ﷺ وأصحابه من الترابط والتكاتف، والتعاون

مجتمع تحقق فيه قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم كمثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

وفي القصة إشارة إلى عظيم نعمة الله سبحانه وتعالى عليك أيها المسلم أن أخرجك في بيئة مسلمة، وترعرت بين أبوين مسلمين

وكذلك نعمة الله على من هداه إلى الإسلام.

تشير القصة إلى عظيم هذه النعمة أن كنت مسلمًا

كم من البشر ممن لا يحصون كثرة حُرموا من هذه النعمة؛ فمنهم من يعبد الفئران، ومنهم من يعبد الأحجار، إلى غير ذلك من عبادات بعيدة كل البعد عن مقتضى العقول فضلًا عما بعث الله سبحانه وتعالى به رسله.

ودعك من الملحدين أولئك الذين يجهرون بإنكار وجود الله سبحانه وتعالى، أنت هداك الله إلى دين الإسلام، فعليك أن تعرف عظم هذه النعمة، وأن تشكر الله سبحانه وتعالى عليها، واعلم أن هذه النعمة أساسها الذي تقوم عليه هو توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وخلع الأنداد التي تعبد من دون الله، فمن كان موصوفًا بأنه مسلم، أو كتب له في بطاقة الهوية مسلم، ولكن ممن يتعلق بالقبور، ويتعلق بالأضرحة، ويعبد أصحابها من دون الله فهذا قد لا يكون له حظ في الإسلام.

قصة رائعة سأذكر إن شاء الله تعالى ملخصها

أخرجها الإمام أحمد في المسند، وابن سعد في الطبقات بإسناد حسنه الإمام الألباني وملخص هذه القصة : أن سلمان الفارسي كان ابنًا لرئيس قرية من قرى أصبهان، وكان أبوه يحبه حبًا شديدًا حتى حمله هذا الحب على أن حبسه في البيت كما تحبس الجارية من شدة محبته له.

وكان سلمان قطن النار، كان مجوسيًا وكان قطن النار، وهو المسؤول عن استمرار إيقادها؛ لأن المجوس يعبدون النار.

وفي ذات يوم انشغل أبوه ببعض أعماله، وبعثه إلى ضيعة إلى مزرعة وأمره فيها ببعض ما يريد فخرج سلمان متوجهًا إلى الضيعة فمر بكنيسة من كنائس النصارى وكان لا خبر له بما يجري في العالم من حوله؛ لأنه كان محبوسًا ملازمًا البيت، وملازمًا النار وإيقادها.

فدخل إلى كنيسة النصارى، وأعجبته صلاتهم، وشعر أن هذا الدين أفضل من الدين الذي كانوا عليه، فمكث ينظر إلى أحوالهم، وإلى صلاواتهم حتى غربت الشمس، وقلق عليه أبوه، وبعث الناس يبحثون عنه، ورجع سلمان إلى بيته فاستطلعه أبوه عما أخره وعما غيبه فأخبره أنه وجد أناسًا على دين هو خير من الدين الذين نحن عليه، فقال له أبوه: أي بني، لا خير في هذا الدين، دينك، ودين آبائك، ودين أجدادك خير منه.

قال سلمان : بل هذا الدين

قال سلمان : هذا الدين خير من ديننا، قال: فخافني أبي فوضع القيد في رجلي، خشي أن يلحق ولده بأهل هذا الدين، وأبوه المسكين لا حجة له على ترجيح دينه إلا أنه دين الآباء، ودين الأجداد وهي الحجة التي لا تزال تتكرر على ألسنة بعض المسلمين المنحرفين فضلًا عن غيرهم.

فبعث سلمان إلى نصارى تلك الكنيسة؛ لأنه لما دخل الكنيسة سألهم عن أصل الدين، هذا الدين أصله، أين أصله؟

فقالوا: بالشام، فبعث إليهم أنه إذا جاء ركبُ وتجار من أهل الشام وأرادوا الرجوع إلى بلادهم فأخبروني، فجاء ركب تجار من الشام فلما أرادوا الرجوع إلى بلادهم أخبروا سلمان ففك القيد عن رجله، وكان صبيًا يافعًا ولحق بهؤلاء التجار.

وخرج معهم إلى الشام في رحلة مجهولة، لا يعرف عما سيواجهه شيئًا، خرج هذا الصبي اليافع من بيت، وثراء، وراحة هو ابن رئيس القرية خرج ليتبع قافلة ذاهبة إلى أرض الشام، لكنها الهمة العالية.

فلما وصل الشام سألهم عن أفضل رجل من أهل دينهم فقالوا: الأسقف في الكنيسة، هذا من كبار عُبّادهم، قال: فسأل هذا الأسقف أن يسمح له بالبقاء معه؛ ليتعلم منه، وليخدمه في الكنيسة، وليصلي معه، فأذن له.

قال : وكان الأسقف رجل سوء كان يأمر النصارى بالصدقة، فإذا جمعوا له الصدقة اكتنزها ولم يعطِ المساكين شيئًا

وهذا نموذج متكرر من أناس يلتحفون رداء الدين؛ لتحقيق مكاسب شخصية، وهؤلاء مظهر قبيح مشوه لأهل الدين، لكنه لا يطعن في الدين، ولم يزعزع ذلك إيمان سلمان ما تزعزع؛ لأن الله أراد له العلو، والرفعة، والجنة.

فلما مات هذا الرجل وأرادوا دفنه أخبرهم سلمان بحقيقته

قالوا: وما علمك فدلهم على الكنز فأخرجوا سبع قلال مملوءة بالذهب والورق.

فغضبوا من هذا الصنيع الفاجر، قالوا: لا ندفنه، فصلبوه، ورجموه، ثم جاءوا برجل آخر مكانه وذكر سلمان من حال هذا الرجل، ومن دينه، وورعه، ومن زهده في الدنيا، ورغبته في الآخرة، ومن اجتهاده في عبادة ربه.

قال: فأحببته حبًا لم أحب أحدًا قبله مثله فلزمته حتى حضرته الوفاة

وتنقل سلمان لم يكن سلمان مكتفيًا بمجرد التدين

كان يريد أن يكون في معية أفضل أهل الدين، كان يريد أن يكون مع العلماء؛ لأن ملازمة العلماء، ومحبة العلماء، والأخذ عن العلماء من أسباب الخير في كل زمان ومكان.

فحضرته الوفاة

فسأله أن يدله على رجل على مثل حاله

قال: والله، ما أعلم إلا رجل واحدًا؛ لأن الناس قد غيروا، و بدلوا، وتركوا الدين الذي جاء به المسيح عليه السلام، فدله على رجل من أهل الموصل

فارتحل إليه ولزمه وأثنى على دينه خيرا

إلى أن حضرته الوفاة فدله صاحب الموصل على رجل بنصيبين فتحرك.

تأمل هذه الهمة العالية يتنقل من مكان إلى مكان، لم يعد يحن إلى وطن، لم يعد متعلقًا ببقعة تعلق بالسماء، تعلق بربنا الرحمن سبحانه وتعالى، فانتقل إلى نصيبين، ومكث مع ذلك العابد وأثنى عليه خيرا فلما حضرته الوفاة

تأمل كيف أن الله ينقله، الله يسوقه إلى مصدر النور

فحضرته الوفاة فقال: بمن تأمرني أن ألحق

فقال: والله ما بقي ممن هو على مثل حالنا إلا رجل بعمورية وهي في تركيا الآن فانتقل توجه ما عنده هم إلا هذا الأمر توجه إلى عمورية، ومكث مع ذلك العابد بعد أن قص عليه أمره فوجده على نفس ما كان عليه أصحابه من الدين، والرغبة في الآخرة، والزهد في الدنيا.

قال: واكتسبت حتى كانت لي بقرات وغنيمات فحضرته الوفاة، فقال: إلى من تأمرني وبمن ألحق؟

قال: والله، ما أعرف أحدًا أصبح على مثل ما نحن عليه، ولكنه أظلك مبعث نبي على دين إبراهيم عليه السلام يخرج في أرض العرب مهاجرًا إلى أرض بين حرتين بينهما نخل له علامات لا تخفى ياكل الهدية، ولا يأكل الصدقة، وبين كتفيه خاتم النبوة.

قال: فبقيت في عمورية زمنًا حتى جاء نفر من كلب تجار فقلت لهم: اعطيكم البقرات، والغنيمات هذا كل ما عنده من الدنيا، من هذه الرحلة ما عنده إلا بقرات وغنيمات، ومع ذلك بذلها بنفس طيبة كل ما عنده بذله

أعطيكم البقرات، والغنيمات على أن تحملوني إلى أرض العرب فوافقوا وحملوه

حملوه، وأخذوا بقراته، وغنيماته حتى إذا أتوا وادي القرى.

قال: ظلموني، فباعوني لرجل من اليهود

باعوه عبدًا لرجل من اليهود قال: ورأيت النخل فظننت أنها الأرض التي أريد ومكثت في الرق حتى جاء ابن عم له من يهود بني قريظة من المدينة لهذا الرجل فابتاعني.

الله يسوقه سوقا إلى النور

فابتاعني، وذهبت إلى المدينة، فلما رأيتها علمت أنها الأرض التي أريد، وبلغني مبعث رسول الله ﷺ وشُغلت بالرق زمنًا، فلم أعلم شيئًا من أخباره.

فبينما أنا يومًا على عذق أعمل فيه إذ جاء لسيدي ابن عم له فقال له: قاتل الله بني قيلة يزعمون أن نبيًا قدم عليهم بقباء فأخذتني العرواء، ارتجف لما سمع هذا الخبر، وكدت أسقط على سيدي

فنزل مسرعًا، وجعل يسأل هذا الرجل عن خبر رسول الله ﷺ، وعن صفته.

قال: فلطمني سيدي لطمة شديدة ونهاه عن السؤال، وقال: أقبل على عملك، قال: فلما أمسيت، وكنت قد جمعت شيئًا أتيت رسول الله ﷺ بقباء فقلت : بلغني أنك رجل صالح، وأن معك أناس غرباء، وهذا شيء من الصدقة.

قال: فقال لهم : كلوا وتنحى ولم يأكل معهم فقلت هذه واحدة لا يأكل الصدقة.

قال: ثم انصرفت عنه فجمعت شيئا وتحول رسول الله ﷺ إلى المدينة ثم جئت به فقلت إني رأيتك لا تأكل الصدقة وهذه هدية أكرمتك بها قال فأكل رسول الله ﷺ منها وأمر أصحابه فأكلوا معه قال فقلت في نفسي هاتان اثنتان.

ثم تحين سلمان رضي الله عنه فرصة خروج النبي ﷺ في جنازة أحد أصحابه ببقيع الغرقد فتبعه من ورائه، وشعر النبي ﷺ أن هذا الرجل يطلب شيئًا قال: فحسر النبي ﷺ الرداء عن ظهره، قال: فرأيت خاتم النبوة، قال: فانكببت على رسول الله ﷺ أقبله وأبكي.

وجد الكنز الذي بذل حياته للبحث عنه، فقال له النبي ﷺ: تحول، قال: فتحولت، وقصصت له خبري، قال: وأحب النبي ﷺ أن يسمع أصحابه هذا.

قال: ثم شُغلت بالرق حتى فاتني مشهد بدر وأحد، ثم قال النبي ﷺ: «أعينوا أخاكم» خطاب لجميع المسلمين سلمان هذا منذ أن نطق بالشهادتين صار أخًا لكم في الإسلام، لا فرق بينه وبينكم، ولو كان عبدًا فارسيًا فإن الإسلام يحطم جميع القواعد التي بُنيت للتمييز بين بني الإنسان سوى الإسلام.

«أعينوا أخاكم» قبل أن يقول النبي ﷺ «أعينوا أخاكم» قال يا سلمان كاتب سيدك.

والمكاتبة أن يُعلق عتق العبد على نجوم، وأقساط يؤديها إلى سيده، فكاتب سيده.

تأمل يا عبد الله، أفضل البشر القائد المعصوم ﷺ كان مهتمًا بأمر صاحبه يريد أن يخلصه من الرق، «كاتب يا سلمان».

قال: فكاتبت سيدي على ثلاث مائة نخلة، وأربعين أوقية وهذا ثمن مرتفع «أعينوا أخاكم، أعينوا أخاكم» فأعانوني.

الرجل بثلاثين ودية من النخل، والرجل بعشرين، والرجل بخمس عشرة، والرجل بعشر حتى تمت.

قال: فقِر لها يا سلمان أي أعد لها الحفر

قال: وأعانني أصحابي حفروا معه

كانوا جسدا واحدا

قال: فإذا فرغت فآذني حتى أضعها

أضع هذه بيدي، قال: فآذنته، فوضع النبي ﷺ ثلاثمائة ودية بيده، فما مات منها ودية واحدة.

ثم كانت المغازي، وكان الجهاد فجيء للنبي ﷺ بمثل بيضة الدجاجة من ذهب، فقال النبي ﷺ: «أين الفارسي المكاتب؟» جاء هذا الذهب فتذكر أخاه سلمان الذي يرزح تحت ذل العبودية والرق، أين الفارسي المكاتب فدعيت له فقال: «خذ هذه» فانقدها لسيدك، أو كما قال ﷺ.

فقلت وأين تقع هذه يا رسول الله مما علي قال خذها فإن الله عز وجل سيؤدي بها عنك قال فأخذتها فوزنت لهم منها والذي نفس سلمان بيده أربعين أوقية فأوفيتهم حقهم وعتقت

هذا أمر خارج عن تصورات البشر، خارج عن معلوماتهم، إنه من الله سبحانه وتعالى.

قال: فأخذتها ووزنت لهم فأكملت لهم ما يريدون، قال: ثم شهدت مع النبي ﷺ الخندق ولم يفتني معه مشهد.

أسأل الله سبحانه أن يثبتنا على هذا الدين، وأن يوفقنا لاتباع سيد الأنبياء والمرسلين، وبارك الله فيكم!

الخطبة الثانية

إخوة الإسلام، لقد اشتملت هذه القصة البديعة الرائعة على فوائد عظيمة، وكثيرة لا يمكن حصرها ولا استيعابها في مثل هذ الوقفة، ولكننا نذكر بعضًا منها.

من فوائد هذه القصة أن أهل الكتاب يعرفون النبي ﷺ كما يعرفون أبنائهم؛ لأن الله أخذ الميثاق على جميع الأنبياء والمرسلين على أن إذا بُعث النبي ﷺ وهم أحياء أن يصدقوه ويؤمنوا به، ويعاضدوه على دعوته.

واشتملت الكتب السابقة لا سيما التوراة والإنجيل على صفته ﷺ، ﴿فَلَمَّا جَاءَهُمْ مَا عَرَفُوا كَفَرُوا بِهِ﴾ [البقرة: ٨٩].

ومن فوائد هذه القصة : الغربة التي كتبها الله -عز وجل- على الصالحين واحدا بعد واحد ممن تمسكوا بعهد المسيح عليه السلام، أما الكثرة الكاثرة فقد انحرفت عن صراط الله المستقيم.

يقول النبي ﷺ كما في صحيح مسلم: «بدأ الإسلام غريبًا، وسيعود غريبًا كما بدأ فطوبى للغرباء».

أيها السني المتمسك بعقيدة السلف، وبمنهج السلف، وبدين نبينا محمد ﷺ.

أيها السني الذي تتناوشه الألسنة، وتحاربه الأقلام، والذي يتلقى السهام تلو السهام اثبت على هذا الحق، فإن الغربة هي الصفة التي كتبها الله على الصالحين، والحق منصور بلا ريب.

ومن فوائد هذه القصة : ما كان عليه المجتمع المسلم من التعاضد والتناصر والأُخوة ، هذه الإخوة التي تثبت لكل من صدع بكلمتي الشهادتين، كل من جاء بالإسلام فهو أخ قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

هذه الإخوة التي مُزّقت، والتي صارت أشلاء بسبب الجماعات والأحزاب، والفرق والحزبيات التي مزقت المسلمين.

المجتمع المسلم الذي آمن برسول الله ﷺ كان على قلب رجل واحد بلا فروقات «أعينوا أخاكم» فينبعثون لإعانته كل بما يستطيعه جسد واحد، أعلى الله عز وجل شأنهم ومكنهم في الأرض.

ومن فوائد القصة : علو همة وفضل سلمان عليه الرضوان من ربنا الرحمن سبحانه وتعالى همة عالية، همة تضارع النجوم، علوًا، وثناء، وزينة وبهاء ما زال يتنقل من رجل إلى رجل لم يتعب، ولم يضجر

ليس هو خروجا من بيتك إلى الدرس

ليس خروجا لتركب المواصلات لحضور الدرس

والناس لا يحضرون الدروس الناس يتكاسلون عن الدروس

إنه سفر، سفر إلى مجهول، ومع ذلك ما تقاعس، ولا تباطأ، بل همته تحمله لما أراده الله سبحانه وتعالى له من السعادة.

ومن أعظم الإشارات المستفادة من هذه القصة : أن رجلًا مثل سلمان ارتحل، وارتحل يريد الخير، أرأيتم لو كان الاحتفال بما يسمى بالرجبية من دين الله عز وجل، أكان مثل سلمان من الصحابة يهملونه، سلمان الذي ارتحل من مكان إلى مكان، من بلد إلى بلد يصبر على الفقر، وعلى وعثاء السفر.

أرأيتم لو كان الاحتفال بليلة السابع والعشرين من رجب الذي ينوه بها الصوفية، ويجعلونها من أعظم مواسم بدعهم.

تشد الرحال إليها من أقصى الأماكن، يمارس في تلك المراكز من الشرك والكفر، والضلال، والمنكرات، والفجور ما الله به عليم لو كان هذا من دين نبينا محمد ﷺ أكان يتركه مثل سلمان.

الصحابة لم يحتفلوا بهذه الليلة، بل هذه الليلة ليست محددة، ليست معينة، فالاحتفال بها من البدع؛ لأن الدين هو القديم

عليكم بالعتيق، عليكم بما كان عليه النبي ﷺ، وأصحابه.

والله المستعان، وبارك الله فيكم!

مقام التوبة

التوبة

معاشر المسلمين، فمن أعظم مقامات الإيمان التي يحبها الرحمن، وهي تلازم المسلم في حال سيره إلى ربه في كل زمان، وأوان.

مقام التوبة الذي به تغسل الحوبة، وبه تحصل الأوبة

وهي واجب على كل مسلم، ومن أجل المقامات

هذا المقام العظيم الذي يفر به العبد إلى ربه ومولاه من ذنوب أظلم لها القلب، وأصابت حياة المؤمن بأنواع من المنغصات والأحزان

التوبة من أعظم مقامات الإيمان.

قال الله سبحانه وتعالى: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

يذكر ابن القيم رحمه الله تعالى أن هذه الآية من سورة مدنية، خاطب الله عز وجل فيها المؤمنين بعد أن هاجروا وجاهدوا وبذلوا كل غال ورخيص في نصرة هذا الدين، خاطبهم الله سبحانه وتعالى موجبًا عليهم التوبة لتعلم أيها العبد أنك محتاج إلى التوبة، ومأمور بها في جميع مراحل سيرك إلى الله سبحانه، في أوله، ووسطه، وآخره.

التوبة واجبة من كل ذنب على كل مسلم، وهي سبب للفلاح ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾ [النور: ٣١].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا عَسَى رَبُّكُمْ أَنْ يُكَفِّرَ عَنْكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيُدْخِلَكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ﴾ [التحريم: ٨].

فالتوبة تذهب السيئات، وينال بها العبد السعادة في الدنيا والآخرة؛ إذ هي سبب لدخول الجنات.

وفي صحيح مسلم عن الأغر المزني ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «أيها الناس، توبوا إلى الله، فإني أتوب إليه في اليوم مائة مرة» أمر النبي ﷺ الناس بالتوبة، ثم أخبرهم أنه وهو أفضل خلق الله عز وجل يتوب إليه في اليوم مائة مرة.

والله سبحانه وتعالى في سياق ذكر كفريات النصارى وهي أنواع من الكفر الغليظ من نحو دعواهم أن الله عز وجل ثالث ثلاثة يقول الله سبحانه وتعالى: ﴿أَفَلَا يَتُوبُونَ إِلَى اللَّهِ وَيَسْتَغْفِرُونَهُ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [المائدة: ٧٤].

يدعوهم الله إلى التوبة، ويخبرهم أنه يغفر جميع الذنوب، وإن كانت من نحو ادعاء أن الله عز وجل ثالث ثلاثة.

وأولئك الذين عذبوا أوليائه، وأذاقوهم ألوان الهوان والعذاب يقول الله سبحانه وتعالى عنهم: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَتَنُوا الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَتُوبُوا فَلَهُمْ عَذَابُ جَهَنَّمَ وَلَهُمْ عَذَابُ الْحَرِيقِ﴾ [البروج: ١٠].

الذين قتلوا أوليائه، وعذبوا أحبابه يدعوهم الله سبحانه إلى التوبة التي بها تغفر السيئات

ويقول الله سبحانه وتعالى: ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

فقسم الله عز وجل الناس جميعًا إلى تائب، وظالم، وما من قسم ثالث ﴿وَمَنْ لَمْ يَتُبْ فَأُولَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾ [الحجرات: ١١].

ويقول الله سبحانه وتعالى في آية ذُكر أنها من أرجى آيات القرآن.

أيها المسلم، الذي أطاع شيطانه فوقع في الذنوب والمعاصي، وشرد عن ربه، وربما أكثر من الذنوب اسمع إلى قول علام الغيوب يقول سبحانه وتعالى: ﴿قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

أجمع علماء التفسير أن هذه الآية في حق التائب

مهما أسرفت في الذنوب والمعاصي، مهما اجترحت من كبائر ما يسخط الرحمن سبحانه وتعالى فإنك إن رجعت إلى ربك بقلب نادمٍ، وعيون دامعة تائبًا فإن الله يقبلك.

جاء في صحيح البخاري ومسلم عن ابن عباس ﷺ أن ناسًا من أهل الشرك قتلوا فأكثروا، وزنوا فأكثروا، ثم أتوا رسول الله ﷺ فقالوا: إن الذي تقول وتدعو إليه لحسن لو تخبرنا أن لما عملنا كفارة، فأنزل الله عز وجل: ﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

وأنزل الله عز وجل قوله: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

إذا نظرت في كتاب الله عز وجل، وفي سنة النبي ﷺ فإنك تجد فيهما صفة ربنا ، ربًا غفورًا، رحيمًا، رؤوفًا كريمًا، ما أعظم فضل الله، وما أجل رحمته أنه سبحانه وتعالى يقول: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

الله العظيم الغني عن العالمين يُعصى، ويُكفر به، ويُخالف دينه، ومع ذلك والله يريد أن يتوب عليكم، بل أعظم في صحيح الإمام مسلم عن عمران بن حصين ﷺ، والحديث روي عن جمع من أصحاب رسول الله ﷺ.

في صحيح مسلم عن عمران بن حصين ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: «لله أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه».

اللهُ سبحانه وتعالى يفرح بتوبة التائبين، وبدموع المذنبين الراجعين «للهُ أشد فرحًا بتوبة عبده حين يتوب إليه من أحدكم كان على راحلته، وعليها طعامه، وشرابه، فانفلتت منه بأرض فلاة» بصحراء دوية لا طعام فيها ولا شراب، كان على راحلته بأرض فلاة فانفلتت منه وعليها طعامه، وشرابه فأيس منها، فأتى إلى شجرة فاضطجع في ظلها قد أيس من راحلته، فبينما هو كذلك إذا هو بها قائمة عنده فقال من شدة الفرح: اللهم أنت عبدي، وأنا ربك أخطأ من شدة الفرح».

اللهُ سبحانه يفرح برجعة النادمين، وبتوبة المذنبين، فما أعظم فضله سبحانه وتعالى، واللهُ عز وجل يحب التائبين: ﴿إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ التَّوَّابِينَ وَيُحِبُّ الْمُتَطَهِّرِينَ﴾ [البقرة: ٢٢٢].

وتأمل يا عبد اللهُ، في قوله عز وجل: ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ﴾ [الفرقان: ٦٨] هذا أقبح ذنب، وأسوأ معصية الشرك باللهُ تعالى الذي يحبط الأعمال، ويوجب سخط ذي الجلال سبحانه وتعالى.

﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ﴾ [الفرقان: ٦٨].

وقد قص النبي ﷺ كما في الصحيحين قصة ذلك الرجل من بني إسرائيل الذي قتل تسعة وتسعين نفسًا، ثم سأل عن أعلم الأرض فدل على راهب، فقال: إنه قتل تسعًا، وتسعين نفسًا، فهل له من توبة؟ قال: لا توبة لك، لا توبة لك، فقتله فكمل به المائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على عالم قال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟

قال: ومن يحول بينه وبين التوبة، من يحول بينه وبين التوبة ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ

وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

قال عز وجل: ﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢].

اللهُ سبحانه وتعالى غفار، وهذه صيغة مبالغة

غفار للتائبين النادمين الذين صدقوا توبتهم بالأعمال الصالحة.

قيل: إن التوبة النصوح أن يكون العبد بعد التوبة خيرًا منه قبل التوبة هكذا قال بعض المفسرين.

﴿وَإِنِّي لَغَفَّارٌ لِمَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا ثُمَّ اهْتَدَى﴾ [طه: ٨٢] يعني ثبت على سنة رسول اللهِ ﷺ.

أسأل اللهَ أن يغفر ذنوبنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا للصالحات!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، استمعنا إلى قول تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا تُوبُوا إِلَى اللَّهِ تَوْبَةً نَصُوحًا﴾ [التحريم: ٨].

أمرك اللهُ -عز وجل- بالتوبة، وأن تكون توبتك توبة نصوحًا، فما هي التوبة النصوح؟

قيل: إن الذنوب تؤثر في القلوب كما قال -عز وجل-: ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

الذنب تلو الذنب يؤثر في القلب يجعله شعبًا متفرقة فتجيء التوبة النصوح التي أخذت من المنصحة وهي الإبرة التي يُخاط بها فتجمع شعث القلب، وتصدعه؛ ليكون عامرًا بمحبة اللهِ.

وقيل: إن التوبة النصوح هي التوبة الخالصة التي أراد الله بها العبد وجه ربه -سبحانه وتعالى-.

التوبة النصوح هي التوبة التي اجتمعت فيها خمسة شروط:

الشرط الأول: الإخلاص لله رب العالمين.

فالذي حملك على التوبة إنما هو محبة الله، وإرادة وجهه، أما الذي يتوب خوفًا من سوط السلطان، أو من ملامة الإخوان فهذا لا تكون توبته معتبرة، لا بد أن تكون مخلصًا في التوبة.

ومن شروط التوبة: أن تقلع عن الذنب، وأن تفارقه، أما من كان مقيمًا على الذنب ويدعي التوبة منه، فهذا من اللاعبين.

ومن شروط التوبة أن تندم على الذنب الذي ارتكبته في الماضي فلا يزال الذنب ماثلًا بين عينيك وأن تعض أصابع الندم وقلبك يتفطر من أنك عصيت ربك الله العظيم -سبحانه وتعالى- وقد جاء في الحديث «الندم توبة».

ومن شروط التوبة العزم على عدم العودة إلى الذنب لا بد أن تعزم على ألا تراجع الذنب مرة ثانية، فإنك يا عبد، لا تدري متى ينزل بك الموت.

ومن أعظم علامات اللاعبين الكاذبين أن أحدهم يتجرؤ على الذنب بزعم أنه يتوب، يقول: أنا سأذنب، وأتوب، من لك أن توفق إلى التوبة، من لك أن تحيا حتى تتوب.

كم من أناس حيل بينهم وبين التوبة بالموت فأفضوا إلى ربهم -عز وجل- بذنوبهم!

لابد أن تعزم على ألا تراجع الذنب مرة ثانية، ومن شروط التوبة أن تكون في وقت الإمكان بأن تقع قبل نزول الموت «إن الله يقبل توبة العبد ما لم يغرغر».

ولا بد أن تكون قبل طلوع الشمس من مغربها كما قال ﷺ: " من تاب قبل أن تطلع الشمس من مغربها تاب الله عليه."

واسمع يا عبد الله، إلى قصة هذه المرأة الصالحة حتى تعلم أنك لست معصومًا من ذنب، إنما المصيبة أن تدمن الذنب، وألا توفق للتوبة، ولهذا فالنبي ﷺ قال لمعاذ بن جبل وأبي ذر رضي الله عنهما: «اتق الله حيثما كنت، واتبع السيئة الحسنة تمحها، وخالق الناس بخلق حسن».

جاءت امرأة من جهينة إلى النبي ﷺ كما في صحيح مسلم وهي حبلى من الزنا.

قالت: يا رسول الله، أصبت حدًا فأقمه علي، تأمل إلى حال هذ المرأة التي خدعها الشيطان فوقعت في الزنا وهو من أخطر الذنوب، لكن لم تزل حرارة الذنب تشتعل في قلبها حتى جاءت وكانت امرأة محصنة، جاءت بقدميها وهي تعلم أنها سترجم حتى الموت.

قالت : يا رسول الله، أصبت حدًا فأقمه علي.

واختلف أهي وقصة الغامدية قصة واحدة، أم هما قصتان؟

استظهر بعض العلماء أنهما قصة واحدة.

فلم يزل النبي ﷺ يردها حتى يتكامل حملها وتضع، وبعد أن وضعت ردها حتى تفطم صغيرها فلا يحتاج إلى غيرها، ومع ذلك لم تتخلف عن الرجوع إلى النبي ﷺ؛ لأنها تريد أن تتطهر من هذا الذنب حتى توافي ربها -عز وجل- وهي طاهرة ليس عليها ذنوب، فإن عذاب الدنيا أهون من عذاب الآخرة.

جاءت إلى النبي ﷺ بعد أن وضعت جنينها، بعدأن ولدت فأمر بها ﷺ فشكت عليها ثيابها، ثم رجمت، وصلى عليها رسول الله ﷺ فقال عمر رضي الله عنه: أتصلي عليها يا رسول الله، وقد زنت، قال ﷺ: «لقد تابت توبة لو

قسمت بين سبعين من أهل المدينة لوسعتهم، وهل وجدت أفضل من أن جادت بنفسها لله -عز وجل-».

وهذا يدلك على أن التوبة يتفاضل فيها أهلها «تابت توبة» يعني عظيمة « لو قسمت بين سبعين» من مذنبي «أهل المدينة لوسعتهم».

إن هذه المرأة جادت بنفسها لربها -سبحانه وتعالى-.

أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا لكل خير!

قتل مائة نفس

هل له توبة ؟!

معاشر المسلمين، فقد كنا تكلمنا في الجمعة الماضية عن التوبة التي هي من أجل منازل الدين، ومن أعظم الأدلة على سعة رحمة رب العالمين.

وذكرنا فيما ذكرنا حديث الرجل الذي قتل مائة نفس، واقتصرنا منه على موضع الشاهد، فرغب إليّ بعض الفضلاء أن أذكر الحديث، وأن أشير إلى شيء من الفوائد المستنبطة منه.

والحديث هو ما أخرجه الشيخان عن أبي سعيد الخدري ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ: «كان فيمن كان قبلكم رجل قتل تسعة وتسعين نفسا، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب، فأتاه فقال: إنه قتل تسعة وتسعين نفسا، فهل له من توبة؟ فقال: لا، فقتله، فكمل به مائة، ثم سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم، فقال: إنه قتل مائة نفس، فهل له من توبة؟ فقال: نعم، ومن يحول بينه وبين التوبة؟ انطلق إلى أرض كذا وكذا، فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم، ولا ترجع إلى أرضك، فإنها أرض سوء، فانطلق حتى إذا نصف الطريق أتاه الموت، فاختصمت فيه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، فقالت ملائكة الرحمة: جاء تائبا مقبلا بقلبه إلى الله، وقالت ملائكة العذاب: إنه لم يعمل خيرا قط، فأتاهم ملك في صورة آدمي، فجعلوه بينهم يعني حكمًا، فقال: قيسوا ما بين الأرض التي هاجر منها إلى الأرض التي أراد، فإلى أيتهما كان أدنى فهي له، فقاسوا فوجدوه أقرب إلى الأرض التي أراد فقبضته ملائكة الرحمة».

وفي بعض الروايات أنه لما حضرته الوفاة أوحى الله عز وجل إلى هذه الأرض أن تباعدي، وإلى هذه الأرض أن تقربي فكان أقرب إلى الأرض التي أراد بشبر.

وفي رواية: «أنه لما جاءه الموت نأى بصدره فكان أقرب إلى الأرض التي أراد».

النبي ﷺ أعلم الناس، وأنصحهم وأحسنهم تعليمًا.

ومن جملة طرقه في التعليم أنه ﷺ يذكر القصص التي هي حق، وصدق، والتي هي ملأى بالدروس والعبرة، وبالفوائد الحسنة هذا من حسن تعليم رسول الله ﷺ.

قص على أصحابه قصة رجل من بني إسرائيل

هذا الرجل أسرف على نفسه بالمعاصي، وليس بأي معصية، بل أسرف بأقبح معصية بعد الشرك وهي قتل النفس التي حرم الله إلا بالحق عند بعض العلماء.

أسرف على نفسه فقتل مائة نفس، ومع ذلك فإن الله سبحانه وتعالى تاب عليه، وجعل ملائكة الرحمة تتولى قبض روحه، بل كما جاء في بعض الروايات أن الله سبحانه وتعالى أحب وأراد نجاة هذا الرجل؛ لأنه أمر أرضًا هاجر منها أن تباعد، وأمر أرضًا هاجر إليها أن تقرب

كأن توبته، ونجاته محبوبة لرب العزة والجلال .

فإياك يا عبد الله أن تقنط من رحمة الله مهما عظمت ذنوبك

كم لنا من ذنوب وخطايا، كم لنا من معاص ورزايا، لكننا نرجو رحمة رب البرايا سبحانه وتعالى.

والله عز وجل يقول: ﴿إِنَّ رَحْمَتَ اللَّهِ قَرِيبٌ مِنَ الْمُحْسِنِينَ﴾ [الأعراف: ٥٦].

فعليك ألا تستمرئ المعصية، فإنك إن استمرأت المعصية، واستمررت عليها يُخشى أن يُطبع على قلبك، ويُخشى أن تموت على سوء الخاتمة

مهما عظمت الذنوب، فإن رحمة علام الغيوب تسع كل شيء.

﴿قُلْ يَاعِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ﴾ [الزمر: ٥٣].

﴿وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُوا فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُوا أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُوا اللَّهَ فَاسْتَغْفَرُوا لِذُنُوبِهِمْ وَمَنْ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا اللَّهُ وَلَمْ يُصِرُّوا عَلَى مَا فَعَلُوا وَهُمْ يَعْلَمُونَ﴾ [آل عمران: ١٣٥].

الخطير هو الإصرار على الذنوب، والمعاصي.

ومن فوائد هذا الحديث أن لقاتل النفس المحرمة توبة، وهو الذي استقر عليه الإجماع، ودل عليه الكتاب والسنة، وقد أُثر قديمًا عن ابن عباس أنه ليس لقاتل النفس توبة، محتجًا بقول الله تعالى: ﴿وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِنًا مُتَعَمِّدًا فَجَزَاؤُهُ جَهَنَّمُ خَالِدًا فيها﴾ [النساء: ٩٣].

والحق أن لقاتل النفس توبة

قتل النفس المؤمنة من أقبح كبائر الذنوب، بل إن زوال الكعبة أيسر من أن يُسفك دم مسلم، ومع ذلك فلقاتل النفس توبة؛ ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَلْقَ أَثَامًا (٦٨) يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (٦٩) إِلَّا مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَالِحًا فَأُولَئِكَ يُبَدِّلُ اللَّهُ سَيِّئَاتِهِمْ حَسَنَاتٍ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَحِيمًا﴾ [الفرقان: ٦٨ - ٧٠].

فدلت الآية على أن لقاتل النفس المحرمة توبة، وهذا من واسع رحمة الله، وفضله جل في علاه

هذا الرجل قتل تسعة وتسعين نفسًا.

وأنت تعلم أن من أعظم، وأخطر عقوبات الذنوب ذلكم الرّان الذي يصيب القلب ﴿كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ﴾ [المطففين: ١٤].

ولا ريب أن مثل من قتل تسعة وتسعين نفسًا، فإن الران يكون قد أحاط بقلبه، لكن بقي في هذا القلب بصيص نور

وبصيص النور هو الذي حمل قاتل تسعة وتسعين نفسًا أن يبحث عن رجل عالم ليسأله، هل له من توبة؟

وهذا يشير إلى أن هذا الرجل كأنه استقر عنده شدة قبح ما اقترفته يداه، وأنه قد لا يتاب عليه

بحث عن أعلم أهل الأرض، وهذا فيه بارك الله فيكم أن من جهل شيئًا فعليه أن يرجع إلى أهل العلم ﴿فَاسْأَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [النحل: ٤٣].

وللعلماء -كما سيأتي- في الإسلام منزلة عظيمة، ومكانة رفيعة، العلماء في الأمة بمنزلة النجوم في السماء، بل بمنزلة البدر الذي يستضاء به في الظلماء.

سأل عن أعلم أهل الأرض فدل على راهب فأتاه فسأله إنه قتل تسعة وتسعين نفسًا فهل له من توبة، قال: لا.

فيه: أن كثيرًا من عامة الناس لا يميزون بين العالم وبين غيره، وهذا حق، فإن كثيرًا من المسلمين فضلًا عن غيرهم لا يعرفون الفرق بين العالم وغيره، ربما إذا رأوا رجلًا لازم المسجد، وعُرف بشيء من الصلاح ظنوه عالمًا يرجع إليه في الفتوى، وهذا خطر كبير، ليس كل من عرف بصلاح يكون عالمًا

فسأله فأغلق عليه باب الأمل، كان يؤمل أن يكون له توبة

فأغلق عليه الباب، فقتله فكمل به المائة.

فيه: أن من أفتى بغير علم أصابه شؤم فتواه قبل غيره، فهذا الرجل لما تقحم الفتوى بغير علم عادت جنايته على نفسه، فكان قتله بسبب خوضه في العلم بلا تأهل، ولا حجة، ولا برهان، ﴿وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ إِنَّ السَّمْعَ وَالْبَصَرَ وَالْفُؤَادَ كُلُّ أُولَئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْئُولًا﴾ [الإسراء: ٣٦].

وفي عهد النبي ﷺ كما عند أصحاب السنن، خرجت سرية فأصيب أحدهم بجرح فأصابته جنابة فسأل أصحابه هل تجدون لي رخصة في أن أتيمم قالوا: لا، نجد لك رخصة وأنت تقدر على الماء، فاغتسل فمات، فلما بلغ ذلك النبي ﷺ اشتد غضبه عليهم؛ لأنهم أفتوا بغير علم فقال: «قتلوه قتلهم الله ألا سألوا حين جهلوا، فإنما شفاء العيء السؤال».

هذا الرجل الراهب العابد، وفي الحق أن هذه القصة كانت بعد رفع عيسى عليه السلام إلى السماء؛ لأن الرهبانية إنما ظهرت وابتُدعتْ بعد رفع عيسى عليه السلام، وهي مبتدعة لا أصل لها في الدين، فدل هذا على أهمية العلم.

أسأل الله سبحانه أن يوفقنا إلى كل خير!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، لما أُخبر هذا الرجل بأنه ليس له توبة قتل ذلك الذي حرمه من أملٍ كان يراوده وكان يحركه، ولكن جذوة النور لم تنطفئ من قلبه.

إخوة الإيمان، اعلموا أن في النفس حاجة، وفقرًا لا يسده إلا معرفة الله، ومحبته، وطاعته.

في النفس حاجة، في النفس فقر، في النفس اضطراب، هذا الفقر، وهذه الحاجة لا تسد إلا بمحبة الله، وبطاعته -سبحانه وتعالى-.

ولهذا فإن الذي يذنب لا يزال في وحشة واضطراب وقلق إلا إذا طبع على قلبه، فإن ذلك ربما كان كما قيل:

ما لجرح بميت إيلام

هذا الرجل لم تزل نفسه قلقة مضطربة مستوحشة، وفيها نور، فسأل عن أعلم أهل الأرض فدل على رجل عالم فأتاه، فقال: إنه قتل مائة نفس فهل له من توبة؟ قال: نعم، ومن يحول بينك وبين التوبة.

اللهَ -سبحانه وتعالى- فتح بابًا للتوبة، لا يغلق هذا الباب حتى تطلع الشمس من مغربها

اللهَ -سبحانه وتعالى- يحب التائبين، الراجعين النادمين الباكين بين يديه -سبحانه وتعالى-.

فيه: فضل العلماء، وأنهم يربون هذه الأمة بما جاء في شرع الله -سبحانه- ومن نصح هذا العالم أنه لم يكتفِ ببيان أن له توبة، بل أرشده إلى سبب يتخلص به من المعاصي قال: انطلق إلى أرض كذا، وكذا فإن بها أناسا يعبدون الله فاعبد الله معهم.

ما هو المقصود من خلق الجن والإنس، ما هي الغاية من بسط الأرض، ورفع السماء؟

بينها اللهَ -سبحانه وتعالى- بقوله: ﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ﴾ [الذاريات: ٥٦].

والعبادة هي أسمى منزلة يصل إليها السائر إلى رب العالمين، والتوحيد هو عبادة اللهَ وحده، التوحيد مركب من عبادة، فمن لم يعبد اللهَ لم يكن موحدًا، ومركب من إفراد للهَ بالعبادة، فمن عبد اللهَ، وعبد غيره كان مشركًا كافرًا.

«انطلق إلى أرض كذا، وكذا فإن بها أناسًا» ما صفتهم؟ ما صفة هؤلاء الصالحين؟

«يعبدون اللهَ فاعبد اللهَ معهم، ولا ترجع إلى أرضك فإنها أرض سوء».

وهذا فيه: أن من ارتكب ذنوبًا، وتاب فعليه أن يفارق الأمكنة، والأحوال التي كان عليها قبل التوبة إذا لم يفعل ذلك لم يوفق للحفاظ على التوبة، ولهذا فإن الزاني غير المحصن إذا زنى جُلد وغُرّب، نُفي من البلد التي زنى فيها عاما ، ومن حكم ذلك أن يفارق الأرض التي عصى اللهَ -

سبحانه وتعالى- فيها، وأن يُفارق البيئة التي كانت سببًا في وقوعه في هذه المعصية حتى تتجدد روحه، وحتى يصلح قلبه.

البيئة لها تأثير عظيم على المرء، وعلى صلاحه، وفساده.

ومن أعظم فوائد هذا الحديث: حاجة الأمة إلى العلماء، فمكانة العلماء في الأمة أعظم من مكانة الأطباء، والأمة حريصة على أن تؤهل الأطباء، أما العلماء فهذا أمر قد أهمل وليس به عناية إلا من رحم الله -سبحانه وتعالى-.

للعلماء مكانة عظيمة يقول الله -سبحانه وتعالى-: ﴿شَهِدَ اللَّهُ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ وَالْمَلَائِكَةُ وَأُولُو الْعِلْمِ قَائِمًا بِالْقِسْطِ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾ [آل عمران: ١٨].

فلم يختر الله -سبحانه وتعالى- من عموم البشر ليضمهم إلى شهادته بالتوحيد إلا من؟ إلا العلماء.

وفي الحديث: «إن العلماء ورثة الأنبياء، وإن الأنبياء لم يورثوا درهمًا، ولا دينارًا، ولكن و رثوا العلم، فمن أخذه أخذ بحظ وافر».

فلا بد للأمة أن تتكاتف، وأن تجمع قواها، وأن تتعاون لصناعة وتكوين العلماء، هذا من أجل المقاصد التي تجب العناية بها.

أسأل الله أن يعفو عنا، وأن يتوب علينا، وأن يوفقنا للاستقامة، وأن يفرج عن إخواننا في سوريا، وعن إخواننا في العراق، وأن ينصر المسلمين.

التيجانية

شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ

معاشر المسلمين، فيقول ربنا جل وعلا: ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

في هذه الآية الكريمة يُذكِّر الله عز وجل بنعمة هي أجل وأعظم النعم على الإطلاق .

هي نعمة الدين، والتوحيد، والإيمان، التي شرعها الله الرحيم الرحمن، وبعث بها جميع رسله، وعلى رأسهم أولوالعزم من الرسل الذين هم أفضل رسله وأنبيائه.

نعمة عظيمة ينبغي أن تقابل بالشكر والثناء على الله رب العالمين

الله سبحانه وصف هذا الدين وهذه الشرعة في غير آية من كتابه وصفها بأنها نعمة، وبين الله عز وجل أن هذه النعمة سبب لدخول الجنات، والنجاة من النار والدركات.

قال الله سبحانه: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ كُفْرًا وَأَحَلُّوا قَوْمَهُمْ دَارَ الْبَوَارِ﴾ [إبراهيم: ٢٨].

﴿بَدَّلُوا نِعْمَتَ اللَّهِ﴾ [إبراهيم: ٢٨] قال المفسرون: نعمة الله هي الإيمان، وهي بعثة محمد صلى عليه وآله وسلم.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣] ما هو الدين الذي شرعه الله سبحانه وتعالى، واتفق على الدعوة إليه جميع الأنبياء؟

هو دين الإسلام قال تعالى: ﴿وَمَنْ يَبْتَغِ غَيْرَ الْإِسْلَامِ دِينًا فَلَنْ يُقْبَلَ مِنْهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ [آل عمران: ٨٥].

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ﴾ [الشورى: ١٣] يريد أفضل رسله، وخاتمهم نبينا محمد ﷺ.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى﴾ [الشورى: ١٣].

وهؤلاء الخمسة هم أولو العزم من الرسل

هذا دين لأجله خلق الله المخلوقات ودحا الأرض، ورفع السموات، ولأجله شرع علم الجهاد؛ لقمع أهل الشرك والإلحاد.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ﴾ [الشورى: ١٣] هذا الدين هو توحيد الله، وإفراده بالعبادة، وألا يعبد معه سواه.

قال الله عز وجل: ﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ﴾ [الأنبياء: ٢٥].

ويقول تعالى في كتابه الكريم: ﴿وَاسْأَلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رُسُلِنَا أَجَعَلْنَا مِنْ دُونِ الرَّحْمَنِ آلِهَةً يُعْبَدُونَ﴾ [الزخرف: ٤٥].

ويقول تعالى: ﴿وَلَقَدْ بَعَثْنَا فِي كُلِّ أُمَّةٍ رَسُولًا أَنِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ﴾ [النحل: ٣٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿يُنَزِّلُ الْمَلَائِكَةَ بِالرُّوحِ مِنْ أَمْرِهِ عَلَى مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ﴾ [النحل: ٢] بماذا؟ ﴿أَنْ أَنْذِرُوا أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاتَّقُونِ﴾ [النحل: ٢].

حرك هذا الأصل العظيم، وهذه الحقيقة الساطعة حركها في عقلك، وتأمل بذهنك جحافل الأنبياء من لدن آدم عليه السلام إلى عهد، ورسالة نبينا محمد ﷺ.

انظر بعقلك إلى تلك الزمر الطاهرة، وإلى تلك الجحافل البارة التي بُعثت إلى كل أمة، والأصل الأصيل الذي تدعو إليه ألا يعبد إلا الله؛

لتعلم أن هذا أصل الدين، وأساس الملة، ومراد الله عز وجل من خلق الثقلين

لتعلم عظم هذا الأمر، ولتحمد الله إن هداك إليه.

وحتى تجتهد في الدعوة إلى هذا الأصل العظيم

ما هو؟

ألا يعبد إلا الله.

وحتى تعلم عظيم الجناية التي ارتكبها من صرف عبادة لغير الله

وحتى تعلم حقيقة ما يعانيه الدعاة إلى التوحيد من ألم، ومن أسف حينما يرون أناسا خلقهم الله رزقهم الله، غذاهم الله بالنعم، ومع ذلك ينادون غير الله، ويستغيثون بغير الله، ويذبحون تعبدًا لغير الله.

كم من أناس عكفوا عند القبور، والأضرحة ينادون أربابها الذين هم رميم ما استطاعوا أن يدفعوا عن أنفسهم الأمراض في حياتهم، ولا أن يدفعوا عن أنفسهم الموت.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣]

والذي يشرع هو الله رب العالمين.

﴿شَرَعَ﴾ [الشورى: ١٣] يعني سن، وبين.

الذي يشرع هو ربنا سبحانه، وأما نبينا محمد ﷺ فهو مبلغ عن الله رب العالمين، ولهذا فإن الله سبحانه وتعالى يقول: ﴿أَمْ لَهُمْ شُرَكَاءُ شَرَعُوا لَهُمْ مِنَ الدِّينِ مَا لَمْ يَأْذَنْ بِهِ اللَّهُ﴾ [الشورى: ٢١].

يقول الله سبحانه وتعالى هذا إنكارًا على الذين شرعوا عبادة جعلوها طريقًا يقربهم إلى الله من غير دليل هذه الآية يستدل بها على الرد على أهل البدع، وعلى بيان أن البدع مردودة، وليست مقبولة في ميزان ديننا، ومع ذلك فإن الذين نقضوا شهادة أن لا إله إلا الله التي معناها لا معبود بحق إلا الله هم أيضًا الذين نقضوا شهادة أن محمدًا رسول الله.

ومن مقتضى هذه الشهادة ألا يعبد الله إلا بما سنّ رسول الله ﷺ.

واسمع معي إلى هذه الطامة الكبرى، وإلى هذه الباقعة العظمى التي يتعجب من صدورها من رجل ينتسب إلى الإسلام فضلًا عن أن يدعي المشيخة، والولاية، والعرفان، بل يتعجب المسلم هل يوجد مسلم على وجه الأرض يدافع عن هذا الباطل!

هذا كتاب «جواهر المعاني، وبلوغ الأماني في فيض سيدي أبي العباس التيجاني رضي الله عنه» كتبه علي حرزام بن العربي برادة.

هذا من أجل كتب الطريقة التيجانية، وصاحبه ممن تلقى بلا واسطة عن أحمد التيجاني، وأنا أقرأ من الكتاب.

قال: وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق إلى آخره

اعلموا أن الصلاة على النبي ﷺ من أفضل الأعمال الصالحات يقول ﷺ: «مَنْ صَلَّى عَلَيَّ صَلَاةً صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ بِهَا عَشْرًا».

وإذا كانت عبادة فيجب فيها الإخلاص لله رب العالمين، والمتابعة للنبي الكريم ﷺ، فإنه لا أحد من البشر أعلم بقدر النبي ﷺ من النبي ﷺ.

الصحابة الذين هم أعرف الناس بالله بعد الأنبياء لما نزلت الآية التي فيها الأمر بالصلاة على رسول الله ﷺ لم يتقدموا بين يدي رسول الله ﷺ، بل رجعوا إليه؛ ليعرفوا صيغة الصلاة التي يستحقها، وأهل البدع فتحوا الباب واسعًا حتى يشرع كل واحد منهم صلاة على رسول الله ﷺ لم يُنزل الله بها من سلطان

فصلاة الفاتح بدعة في الدين؛ لأنها ليست منقولة عن النبي الكريم ﷺ، والدين قد كمل ببعثة النبي ﷺ: ﴿الْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ﴾ [المائدة: ٣] وما فارق رسول الله ﷺ الدنيا إلا وقد بين للأمة ما يقربها إلى الله، أما الذين يزعمون رؤية النبي ﷺ يقظة لا منامًا وأنهم يتلقون عنه الأوراد، والعبادات فهؤلاء يسعون لنقض عرى هذه الشريعة.

قال: «وأما فضل صلاة الفاتح لما أغلق فقد سمعت شيخنا رضي الله عنه يقول» يريد أحمد التيجاني.

«كنت مشتغلًا بذكر صلاة الفاتح لما أغلق حين رجعت من الحج إلى تلمسان؛ لما رأيت من فضلها، وهي أن المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة

كيف تكون المرة الواحدة بستمائة ألف صلاة، وهذا لا يعرف إلا من جهة النبي ﷺ!

اعلموا أن هؤلاء لم ينقطع عندهم الوحي، بل الوحي مستمر وليس وحي الرحمن، بل هو الشيطان وقد زعموا أن صاحبها محمد البكري الصديقي نزيل مصر كان قطبًا ! قال : إن من ذكرها مرة ولم يدخل الجنة فليقبض صاحبها عند الله».

من ذكر هذه الصلاة مرة واحدة فهو من أهل الجنة، فإن لم يدخل الجنة فعليه أن يقبض صاحبها عند الله، وهذا هين بالمقارنة بما سيأتي.

« وبقيت أذكرها إلى أن رحلت من تلمسان إلى أبي سمعون فلما رأيت الصلاة التي فيها المرة الواحدة بسبعين ألف ختمة من دلائل الخيرات تركت الفاتح لما أغلق».

«ودلائل الخيرات» للجزولي هذا منبع للبدع، منبع للضلال.

يقول: «واشتغلت بها وهي (اللهم صل على سيدنا محمد وعلى آله صلاة تعدل جميع صلوات أهل محبتك وسلم على سيدنا محمد وعلى آله سلامًا يعدل سلامهم) لما رأيت فيها من كثرة الفضل ثم أمرني بالرجوع - ﷺ - إلى صلاة الفاتح

أين لقي رسول الله ﷺ ؟

هذا مبني على باطل يزعمه بعض المتصوفة أن الناس يرون رسول الله ﷺ بعد موته يقظة لا منامًا، وأنهم يأخذون عنه

ظلمات بعضها فوق بعض.

«أمرني بالرجوع ﷺ إلى صلاة الفاتح لما أغلق فلما أمرني بالرجوع إليها سألته ـ ﷺ ـ عن فضلها»

أنا لا أشك أن هذا نقض لعرى الدين

الأحاديث متواترة في بيان الوعيد الشديد على الكذب على النبي ﷺ «من كذب علي متعمدًا فليتبؤا مقعده من النار».

كان الواحد من الصحابة بعد موت رسول الله ﷺ إذا أراد أن يحدث عن رسول الله ﷺ ارتعد، واصفر وجهه خشية من أن يغلط في الرواية عليه، وهؤلاء جهارًا، نهارًا يكذبون على رسول الله ﷺ بما إذا لم يكن من الكفر، فلا أقل أنه من أعظم البدع.

ماذا قَوّلَ التيجاني رسول الله ﷺ؟

فأخبرني أولًا: بأن المرة الواحدة منها» من صلاة الفاتح «تعدل من القرآن ست مرات، ثم أخبرني ثانيًا: أن المرة الواحدة منها تعدل كل تسبيح وقع في الكون ومن كل ذكر ومن كل دعاء كبير أو صغير ومن القرآن ستة آلاف مرة» صلاة الفاتح تعدل القرآن ستة آلاف مرة ﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا﴾ [الشورى: ١٣].

الشرع إنما هو إلى الله عز وجل وحده ، وهؤلاء يشرعون دينًا، ويكذبون فيه على رسول الله ﷺ، ثم لا يكتفون بذلك حتى يجعلوا صلاة مخترعة تعدل القرآن ستة آلاف مرة، أي كلامٍ هذا الذي يُقارن بالقرآن كلام الله فضلا عن أن يعدله مرة دعك عن آلاف المرات ؟!!

ولو كان كذلك فأين رسول الله من هذه الصلاة،

أين أبو بكر وعمر،

أين سائر الصحابة،

أين سائر الأمة قبل أحمد التيجاني؟

أين رسول الله لا يخبر أصحابه بهذا الفضل العظيم يكتمه حتى يعطيه لأحمد التيجاني.

ظلمات بعضها فوق بعض تدلك على ضلال القوم وإفكهم العظيم

أسأل الله سبحانه أن يهدينا سواء السبيل!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، استعمنا إلى قول الله تعالى مذكرًا عباده بنعمة من أعظم النعم حتى يجتهدوا في شكر هذه النعمة

وشكر هذه النعمة يكون بالثبات على التوحيد، وبالدعوة إليه، وبالاجتهاد في الأعمال الصالحة، وفي نشر الخير الذي بعث الله به محمدًا ﷺ، وبالذب عن هذه الشريعة حتى لا يختلط بها ما ليس منها.

﴿شَرَعَ لَكُمْ مِنَ الدِّينِ مَا وَصَّى بِهِ نُوحًا وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِ إِبْرَاهِيمَ وَمُوسَى وَعِيسَى أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

لا بد من إقامة التوحيد، ولا بد من الثبات عليه، ولا بد من الدعوة إليه، ولا بد من الاستمرار على الطاعة وهي الإنابة.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ﴾ [الشورى: ١٣].

أمرهم -سبحانه وتعالى- بالجماعة والائتلاف، ونهاهم عن الفرقة والاختلاف فإن من أعظم أصول هذه الشريعة الاجتماع على كلمة واحدة.

أهل التوحيد من الله عليهم بأعظم سبب لاجتماع كلمتهم، ومع ذلك فالواقع أنهم متفرقون تفرق أهل التوحيد إلى أحزاب وشيع ما أنزل الله بها من سلطان، والله -سبحانه وتعالى- يقول: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

ويقول -سبحانه-: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

ويقول -سبحانه -: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

الواقع أن التوحيد الذي هو أعظم سبب للاجتماع، والاتحاد إلا أن أهله في هذه الأعصر لم ينعموا بنعمة الوحدة والاجتماع، بل تفرقوا.

وأعظم من ذلك أنهم يبغي بعضهم على بعض، ويظلم بعضهم بعضًا، ويحارب بعضهم بعضًا إلا من رحم الله

ويسعى بعضهم لتعطيل دعوة بعض، والمنع منها، وإنها لمصيبة عظمى.

﴿أَنْ أَقِيمُوا الدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا فِيهِ كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] من ماذا؟

من التوحيد.

قال تعالى: ﴿إِنَّهُمْ كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ﴾ [الصافات: ٣٥].

ويقول -سبحانه -: ﴿وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ اشْمَأَزَّتْ قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ﴾ [الزمر: ٤٥].

﴿كَبُرَ عَلَى الْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ﴾ [الشورى: ١٣] يعني من التوحيد.

﴿اللَّهُ يَجْتَبِي إِلَيْهِ مَنْ يَشَاءُ﴾ [الشورى: ١٣] يهدي الله من يستحق الهداية.

﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣] وعد الله بأن يهدي إليه من ينيب.

والصحابة كلهم منيبون إلى الله -سبحانه وتعالى-

قال -عز وجل-: ﴿وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ﴾ [لقمان: ١٥].

فقوله تعالى: ﴿وَيَهْدِي إِلَيْهِ مَنْ يُنِيبُ﴾ [الشورى: ١٣].

تصريح بأن الصحابة مهتدون فالآية فيها دليل على وجوب اتباع منهج أصحاب رسول الله ﷺ.

والإنابة التي هي الإسراع في مرضاة الله، والرجوع إلى الله -عز وجل- في كل وقت مع الإخلاص من أعظم مقامات السائرين إلى الله.

قال تعالى: ﴿وَأُزْلِفَتِ الْجَنَّةُ لِلْمُتَّقِينَ غَيْرَ بَعِيدٍ (٣١) هَذَا مَا تُوعَدُونَ لِكُلِّ أَوَّابٍ حَفِيظٍ (٣٢) مَنْ خَشِيَ الرَّحْمَنَ بِالْغَيْبِ وَجَاءَ بِقَلْبٍ مُنِيبٍ﴾ [ق: ٣١ - ٣٣].

أمر الله -سبحانه وتعالى- بهذه المنزلة التي هي الإنابة ﴿وَأَنِيبُوا إِلَى رَبِّكُمْ وَأَسْلِمُوا لَهُ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنْصَرُونَ﴾ [الزمر: ٥٤].

أنيبوا إلى ربكم، الإنابة لزومٌ لطاعة الله، وثباتٌ على ما يرضي الله بالإخلاص، ورجوع إلى الله في كل وقت.

أسأل الله -سبحانه- أن يوفقنا لكل خير، وأن يهدينا سواء السبيل، وأن يجعلنا من حزبه المفلحين، وبارك الله فيكم!

شهر رمضان

وأقبل رمضان

معاشر المسلمين، فيقول ربنا -عز وجل- في كتابه الكريم: ﴿وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً لِمَنْ أَرَادَ أَنْ يَذَّكَّرَ أَوْ أَرَادَ شُكُورًا﴾ [الفرقان: ٦٢].

الليل والنهار من آيات الله -عز وجل- الباهرة التي تدل على عظيم قدرته، وعظمته، وجماله، وجلاله -سبحانه وتعالى-.

جعل الله -عز وجل- الليل والنهار تذكرة يهتدي بها الناظر إلى عظمة الله -سبحانه وتعالى-

الذي ينظر بقلبه وبصره إلى هذه الآية الباهرة يهتدي إلى عظمة الله -سبحانه وتعالى- وهذا الاهتداء يقوده إلى توحيده، ومحبته، وإفراده بالعبادة.

وجعل الله -سبحانه وتعالى- الليل والنهار محلًا لشكر رب العزة والجلال، والشكر هذا يكون بالقلب اعترافًا، وباللسان ثناءً وبالجوارح عبادة وخضوعًا.

وروى الإمام الترمذي، وصححه الإمام الألباني -رحمه الله- أن النبي ﷺ قال: «لا تقوم الساعة حتى يتقارب الزمان حتى تكون السنة كالشهر، والشهر كالجمعة، والجمعة كاليوم، واليوم كالساعة، والساعة كالضرمة بالنار».

هذا الحديث الصحيح اشتمل على علامة ودليل على صدق نبوة نبينا محمد ﷺ فإنه أخبر أن من أشراط الساعة أن يتقارب الزمان، وهذا أمر يحس به كل مسلم في هذه الأزمنة

من منا لا يتذكر رمضان المنصرم ؟

ربما يتذكره الإنسان، وكأنه انسلخ بالأمس

رمضان شهر عظيم، وهذا الشهر ليل ونهار ، ينقضي سريعا فلا بد أن يعمره المسلم بعبادة الله -عز وجل- وطاعته، لكنه يتميز عن سائر الشهور بخيرات وبركات أودعها فيه رب العزة والجلال رحمة بهذه الأمة.

وقد ثبت أن النبي ﷺ كان يبشر أصحابه بمقدم هذا الضيف الكريم، وهذا الزائر العظيم.

فقد روى الإمام النسائي، وصححه الإمام الألباني عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ خطب في أصحابه فقال: «أتاكم رمضان شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم، وتغل فيه الشياطين، ومردة الجن، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم خيرها فقد حرم».

أو كما قال ﷺ.

كان النبي ﷺ يبشر أصحابه بهذا الشهر الذي تشتاق إليه أفئدة المؤمنين ويتنظرونه على أحر من الجمر؛ لأن أكثر أيام المسلمين سعادة هي المواسم التي تنشرح صدورهم للتعبد فيها لرب العالمين، تلك المواسم التي تعظم فيها الحسنات، وتكثر فيها أبواب الخير والرحمات، ومنها هذا الشهر الذي وصفه أصدق الخلق نبينا محمد ﷺ بأنه شهر مبارك، شهر مبارك يعني أن خيره كثير.

فوالله، إن من حرم من خيرات هذا الشهر لهو من الخاسرين في الدنيا والآخرة إلا أن يشاء الله رب العالمين «أتاكم شهر مبارك فرض الله عز وجل عليكم صيامه، تفتح فيه أبواب السماء، وتغلق فيه أبواب الجحيم» يعني أن الأسباب التي يتقرب بها العبد إلى ربه تكون متأتية وقريبة في هذا الشهر، وأن الأسباب التي تبعد الإنسان عن ربه -عز وجل- لا تكون قريبة، ولا يسيرة في هذا الشهر.

«وتغل فيه الشياطين ومردة الجن، فيه ليلة خير من ألف شهر، من حرم أجرها فقد حرم» فضل عظيم ادخره الله -سبحانه وتعالى- لهذه الأمة من دون سائر الأمم، هذا الفضل العظيم، والخير العميم يتمثل في ليلة القدر التي أنزل الله -سبحانه وتعالى- فيها القرآن ﴿إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ فِي لَيْلَةٍ مُبَارَكَةٍ إِنَّا كُنَّا مُنْذِرِينَ﴾ [الدخان: ٣] خير عظيم من حرم من خير هذه الليلة التي هي خير من ألف شهر فقد حرم، حرم من كل خير، حرم من كل فضل.

أمامكم موسم جليل من مواسم الخيرات، فعليكم أن تعقدوا العزم على أن تكونوا فيه من الرابحين، عليكم أن تخططوا تخطيطًا جيدًا؛ لتستغلوا جميع أزمنة هذا الشهر، الإنسان إذا أقدم على تجارة درسها من جميع الوجوه والجوانب، وقدر، وفكر فأمامك الآن تجارة وهي تجارة الآخرة.

ومن أجل الأعمال الصالحة في شهر رمضان الصوم ففي الصحيحين عن أبي هريرة ﷺ عن النبي ﷺ قال: قال الله -عز وجل-: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزئ به».

«والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل إني صائم، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك».

«للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

الله -سبحانه وتعالى- في هذا الحديث القدسي يبين مزية الصوم على سائر العبادات «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي» أضافه الله -سبحانه وتعالى- إلى نفسه العظيمة تشريفًا وتمجيدًا؛ لأن الصيام سر بين العبد وربه -سبحانه وتعالى-.

ثم قال: «وأنا أجزئ به» وأنتم خبيرون أن الكريم إذا تكفل بالجزاء بنفسه فلا تسل عن كثرة الأجور، ولله المثل الأعلى.

في الدنيا لو أن رجلًا كريمًا ميسورًا قال لعمال: جزاؤكم علي وعندي لا تسل عن فرحتهم؛ لأنهم يتوقعون مالًا جزيلًا فها هو رب العزة والجلال الكريم -سبحانه وتعالى- يقول: «وأنا أجزئ به»

« والصيام جنة» والجنة : المراد بها الحاجب، والحاجز.

قال العلماء: فالصيام جنة عن المعاصي والآثام.

من صام إيمانًا، واحتسابًا، وأراد بصومه رب العزة والجلال وحذر أن يواقع ذنبًا، أو معصية، فإن هذه الصوم يكون مانعًا من الذنوب والمعاصي.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا كُتِبَ عَلَيْكُمُ الصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكُمْ﴾ [البقرة: ١٨٣] لماذا؟

﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾ [البقرة: ١٨٣].

فالصيام سبيل لتحصيل التقوى، والتقوى فيها خير الدنيا والآخرة، يا عبد الله، اجعل تقوى الله نصب عينيك، اجعلها هدفك الأسمى، ثابر واجتهد حتى تبلغ التقوى، فإنك إن كنت تقيًا، ولربك معظمًا، وخائفًا فتحت لك الأبواب، وأزيل عنك الحجاب، ونلت رضا رب الأرباب -سبحانه وتعالى-.

«والصيام جنة» وهو كذلك جنة من النار؛ لأن النبي ﷺ يقول كما في الحديث الذي رواه ابن ماجة، وصححه الإمام الألباني «من صام يومًا في سبيل الله جعل الله بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض».

من صام يومًا واحدًا، لكن في سبيل الله باعده الله عن النار، وجعل بينه وبين النار خندقًا كما بين السماء والأرض.

«والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل: إن صائم، والذي نفس محمد بيده» أقسم النبي ﷺ على هذا الخبر وهو الصادق البار ﷺ.

«والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم» والخلوف: هو تغير رائحة الفم التي تنبعث من المعدة بسبب الجوع، وهي رائحة كريهة هذه الرائحة.

«والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله من ريح المسك» لأن هذه الرائحة الكريهة ناتجة عن طاعة وآثار الطاعة يحبها رب العزة والجلال.

«للصائم فرحتان» إخوة الإيمان احرصوا على الفرح الذي يحبه الله -سبحانه وتعالى-، الفرح فرحان، فرح يحبه الله رب العالمين، وهو الفرح بالطاعة ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٨].

وفرح يمقته الله رب العالمين وهو الفرح الذي يخالف الشرع؛ كالفرح بالمال الذي اكتسب بحرام، وكالفرح بالمال الذي منع من أبواب الخيرات بخلًا به، وضنًا به.

«للصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره» إذا غربت الشمس، وأقبل على طعامه فرح؛ لأنه وُفق لإتمام هذه العبادة، وفرح؛ لأنه يرجو الثواب، والأجر عليها، وفرح؛ لأن الرب -سبحانه- رحمه فلم يوجب عليه أن يصوم أيامًا ولياليَ متواصلة، بل أباح له أن يأكل ويشرب عند غروب الشمس.

«وإذا لقي ربه فرح بصومه» الفرح الأكبر عند لقاء الله -سبحانه وتعالى-؛ لأن الله -عز وجل- جعل للصائمين بابًا في الجنة يدعى بباب الريان كما جاء في الصحيحين عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: «إن في الجنة بابًا يقال له الريان يدخل منه الصائمون لا يدخل منه أحد غيرهم، فإذا دخلوا أغلق فلم يدخل منه أحد».

أسأل الله -عز وجل- أن يوفقنا للخيرات.

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، في حديث أبي هريرة ﷺ الذي أخرجه الشيخان قول الله -سبحانه وتعالى-: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي، وأنا أجزئ به، والصيام جنة، فإذا كان يوم صوم أحدكم فلا يرفث، ولا يصخب، فإن سابه أحد، أو قاتله فليقل إني صائم».

الفقهاء لما عرفوا الصوم بأنه التعبد لله -عز وجل- بالإمساك عن جميع المفطرات من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس ذكروا حد الصوم الذي تتحقق به هذه العبادة، ويحصل به الإجزاء، لكن عليكم أن تعرفوا أن الصيام لا بد أن يكون صيامًا، وإمساكًا، وامتناعًا عن جميع الذنوب والمعاصي.

فقد أخرج ابن خزيمة وصححه الإمام الألباني أن النبي ﷺ قال: «ليس الصيام عن الأكل والشراب، إنما الصيام عن اللغو والرفث».

ليس الصيام الذي يريده الله -سبحانه وتعالى- أن يمتنع الإنسان فحسب عما أحل الله في غير أيام الصوم؛ لأن الأكل حلال، والشرب حلال، وجماع الزوجة حلال، لكن الله ابتلاك بأن تمتنع من هذه في وقت الصوم، ليس هذا الصوم فحسب، إنما الصوم عن اللغو والرفث، لا بد أن تراقب ربك -عز وجل- وأن تجعل على جوارحك حارسًا فلا تعصِ ربك -سبحانه وتعالى-.

«فلا يرفث» والرفث: هو الكلام الفاحش القبيح.

«ولا يصخب» لا يرفع صوته، عليه أن يتأدب، ولهذا جاء عن بعض سلفنا أنه قال: «إذا صمت فليصم سمعك، وبصرك، ولسانك عن الكذب والمحارم، ودع أذى الخادم، وليكن عليك وقار، وسكينة يوم صومك، ولا يكن يوم صومك ويوم فطرك سواء».

لا ينبغي أن يكون يوم صومك، ويوم فطرك سواء في ذنوب ومعاص، في غيبة ونميمة في هدر للأوقات، في نظر إلى القنوات، في سماع للأغاني الماجنات، في نظر إلى النساء العاريات، في سهر في الباطل الذي لا يحبه رب الأرض والسموات.

جاء عن الإمام أحمد أن النبي ﷺ قال: «رب صائم حظه من صيامه الجوع والعطش».

كم من صائمين انسلخ الشهر فما أفادوا منه شيئًا، وإنما حظهم من صيامهم الجوع والعطش.

وثبت أيضًا عند ابن خزيمة، وابن حبان أن النبي ﷺ جاءه جبريل فقال: «يا محمد، من أدرك رمضان فلم يغفر له فدخل النار فأبعده الله، قل: آمين، فقلت: آمين».

الذي يدرك هذا الشهر، فلا يغفر له، ويكون من أهل النار يدعو عليه أفضل الملائكة، ويؤمن أفضل الخلق: أبعده الله، يعني عن كل خير، عليك أن تحذر يا عبد الله، وألا يضيع منك هذا الشهر بما فيه من أجور كثيرات وخيرات غلايات.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يثبتنا على هذا الدين حتى الممات، وأن يستعملنا بطاعته، وأن يستعملنا في نصرة دينه، وأن يبارك فيمن أحب هذه الدعوة، وخدم هذه الدعوة، ونصرها بماله.

أسأل الله أن يبارك في أموالهم، وأن يبارك في مال من خدم طلبة العلم، وأعان على طلبهم للعلم، وأطعمهم، وأعان على ترحيلهم، وبارك الله فيكم!

صلة الصوم بالعقيدة والمنهج

خلق الله -عز وجل- الإنسان ليعبده وحده لا شريك له، ومن عبادته -سبحانه وتعالى- أن يكون توجه الإنسان وتعبده خالصًا لربه -عز وجل- لا يلجأ إلا إليه، ولا يتوكل إلا عليه، ولا يرجو إلا إياه، ولا يخشى إلا منه، وهذه هي معاني الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- من أجل ذلك قال ربنا -تبارك وتعالى-: ﴿أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ﴾ أي : النقي من كل شائبة ومن شرك.

وإن من العبادات التي يتحقق فيها الإخلاص لله -سبحانه وتعالى- بأوضح صوره عبادة الصوم، فإن الصوم فضّله الله -تبارك وتعالى- وجعل له الأجر العظيم؛ ذلك لأنه مظهر عظيم جدًا من مظاهر إخلاص القلب لله -سبحانه وتعالى-.

ولذلك ثبت في الصحيحين من حديث أبي هريرة ﷺ قال: قال رسول الله ﷺ قال الله -عز وجل-: «كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزئ به، والصيام جنة، فإذا كان صوم يوم أحدكم فلا يرفث، ولا يفسق، ولا يصخب، والذي نفس محمد بيده لخلوف فم الصائم أطيب عند الله يوم القيامة من ريح المسك، وللصائم فرحتان يفرحهما إذا أفطر فرح بفطره، وإذا لقي ربه فرح بصومه».

في هذا الحديث يبين الله تعالى أنه نسب الصيام إليه نسبة خاصة تدل على عظمته، وعلى مكانته «إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزئ به» ومعنى ذلك أن جزاء الصوم، وجزاء الصائمين لا يعرف قدره إلا الله -سبحانه وتعالى-، وفيما سواه من الحسنات فإن الحسنة بعشر أمثالها، أما الصوم فإنه لم يحدد أجره بعدد

وما كان جزاؤه عند الله فإنه لا يتصور حده؛ لأنه من خزائن الله الملأى التي لا تغيضها نفقة سحاء الليل والنهار، ذلك أن رمضان شهر الصبر، والله تعالى وعد الصابرين بأن يعطيهم أجرهم بغير حساب، فكيف إذا كان الصبر على عبادة لله تعالى هي من أعظم مظاهر إخلاص الدين لله -سبحانه وتعالى-.

ما أعظم هذا الصوم فأنه مظهر من مظاهر توحيد الله -سبحانه وتعالى- والإخلاص له؛ لأن العبد يراقب فيه الله، وينظر إلى علمه -سبحانه وتعالى- فيخشاه ويتقيه، ويخافه كما قال ابن رجب -رحمه الله-: فإن توقان النفس إلى ما تشتهيه مع قدرتها عليه، وميلها له فامتناعها عنه مراقبة لله -عز وجل- دليل على صحة الإيمان، ثم قال: وإن الصائم يترك شهواته المجبول على الميل إليها رغبة فيما عند الله -سبحانه وتعالى-؛ فلذلك الصوم دليل على صحة الإيمان، وإخلاص العبد لله -سبحانه وتعالى-.

وهذا جانب عظيم من جوانب العقيدة

وهو جانب التعبد لله -سبحانه وتعالى- بأنه يرى العبد، ويسمعه، ويعلم حاله، وهذه هي حقيقة المراقبة التي تورث إخلاص العبد، وخشيته لله -سبحانه وتعالى-.

من أجل ذلك كان من أخسر الخاسرين، وأشد الناس مهانة، وذلًا ذلك الذي يخرج من هذا الأجر العظيم بالخسران المبين كما قال النبي ﷺ في الحديث الذي في الصحيح: «رغم أنف امرئ دخل شهر رمضان ولم يغفر له».

«رغم أنفه» أي اختلط أنفه بالتراب كناية عن الذل، والمهانة والصغار؛ لأنه لم يظهر الإخلاص لله -سبحانه وتعالى-، ولم يظهر الإنابة إليه في وقت فتح الله -عز وجل- فيه أبواب الخير.

ومن جوانب ارتباط الصوم بالعقيدة قول النبي ﷺ في الصحيحين: «إذا جاء رمضان فتحت أبواب الجنة، وغلقت أبواب النار، وصفدت الشياطين».

يؤمن أهل السنة والجماعة بأن الجنة موجودة، ومخلوقة، ولها ثمانية أبواب، وأن النار مخلوقة، وموجودة، ولها سبعة أبواب كما قال الله -عز وجل-: ﴿لَهَا سَبْعَةُ أَبْوَابٍ لِكُلِّ بَابٍ مِنْهُمْ جُزْءٌ مَقْسُومٌ﴾ [الحجر: ٤٤].

هذا ليس إلا للصوم أن تفتح أبواب الجنان للخير، وتغلق أبواب الشر، بأن تغلق أبواب جهنم، وتسلسل الشياطين أي تقيد، فلا تستطيع أن تصل إلى الوسوسة التي كانت تصل إليها في غير رمضان، وهذا أيضًا جانب من جوانب العقيدة أن الجن موجودون، ومخلوقون، ولكنهم ضعفاء لا يستطيعون أن يفعلوا شيئًا إلا بإذن الله -عز وجل-.

ولذلك يهانون في رمضان، ويقيدون، ويصفدون؛ لأنهم مربوبون مخلوقون لله -عز وجل- وهذا درس لعباد الله تعالى أنه لا تسليط للشيطان على العبد إلا بإذن الله -عز وجل-، إلا بإذن منه -سبحانه وتعالى-؛ لأن كيد الشيطان كان ضعيفًا.

ولذلك على المسلم في هذا الشهر أن يغير سلوكه وهذا جانب آخر من جوانب عبادة الصوم أنه باب من أبواب التربية، ومظهر من مظاهر تحسين سلوك العبد، فمن تعود على المعاصي، والمنكرات، والفحشاء عليه أن يرجع في هذا الشهر، ويتوب وينيب إلى الله تعالى فإن أعدائه مكبلون، ونفسه التي تدعوه إلى الشر في أضعف حالاتها؛ لأنها جائعة عطشى.

ولذلك النفس إذا كانت مهانة بالجوع والعطش فإن دعوتها إلى الشهوات؛ إما أن تكون منعدمة،وإما أن تكون ضعيفة من أجل ذلك أمر النبي ﷺ العزاب الذين لا يستطيعون الزواج أن يصوموا؛ لأنه أحصن للفرج.

فيا عبد الله، الله تعالى أعانك على نفسك، فلماذا لا تقبل عون الله، لماذا تفر من الخير الذي فتحه الله إليك، متى ترجع إلى الله إذا لم ترجع في هذا الشهر الكريم المبارك

متى تتوب إلى الله -عز وجل- إذا لم تتب في رمضان، أتريد أن تكون لدعوة النبي ﷺ التي أمن عليها جبريل تريد أن يكون لها سبيل عليك.

دعا جبريل عليه السلام على تارك الصوم، أو على من لم يراعِ آداب الصوم بالذلة والمهانة والصغار، وأمن على ذلك النبي ﷺ، فإياكَ يا عبد الله أن تكون موضع دعوة خير الرسل من الملائكة وتأمين خير الرسل من البشر فتكون من أهل الذل والمهانة والصغار، ولذلك قال النبي ﷺ كما في البخاري «من لم يدع قول الزور، والعمل به، فليس لله حاجة أن يدع طعامه، وشرابه».

ليس من حكمة الصوم أن تصوم، وتفعل المنكرات

تصوم ولسانك كما هو وعملك كما هو فقد خرجت من رمضان بغير فائدة، وذلك هو الخسران المبين الذي توعد الله أصحابه بالنار يوم القيامة، والله تعالى يقول: ﴿وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُكْرِمٍ﴾ [الحج: ١٨].

وكما أن لرمضان صلة قوية بالعقيدة، وصلة قوية بالسلوك فإن لرمضان صلة لا تقل قوة بالمنهج، والتمسك به، وترك الآراء، واجتناب الأهواء، وتقديم السنة الغراء على قول كل ذي قول.

يقول النبي ﷺ كما في البخاري ومسلم من حديث ابن عمر رضي الله عنهما مبينًا تميز هذه الأمة قال: «نحن أمة أمية لا نكتب، ولا نحسب الشهر هكذا، وهكذا» يعني مرة يكون تسعة وعشرين، ومرة يكون ثلاثين

لا نحسب أي لا نلجأ إلى حساب النجوم في إثبات دخول شهر رمضان كحال الفلكيين ، وكحال أهل الكتاب الذين غيروا وبدلوا دينهم.

فيصور النبي ﷺ أن الأمة في اتباعها لشرع الله تعالى أمة منقادة أمية، أمة سهلة الانقياد لا تتكلف في صيامها، ولا في عباداتها أي شيء من أنواع الحساب، ولذلك لا يجوز للمسلمين أن يتعبدوا الله تعالى بالصيام بإثباته بحسابات الفلكيين، ولا بغيرها فإن هذا مناقض لهدي النبي ﷺ، ولأجماع سلف الأمة.

ومن مظاهر الاتباع، وسلوك المنهج الصحيح في الصوم ما قالته عائشة رضي الله عنها حينما سألتها معاذة العدوية كما في الصحيحين: «ما بال الحائض تقضي الصيام ولا تقضي الصلاة ؟»

ومن المعلوم أن الصلاة خير من الصيام، ولو كان الأمر بالعقل وبالرأي، وبالتجربة لكان قضاء الصلاة أولى من قضاء الصوم فبماذا أجابت أم المؤمنين - رضي الله عنها -؟

أجابت بالأصل العظيم للإسلام وهو اتباع الدين من غير اعتراض.

قالت: «أحرورية أنت؟» أي أنك من أهل حروراء من الخوارج الذين يقدمون الرأي على السنة؟

قالت: لا، ولكني أسأل، قالت: «كان يصيبنا ذلك على عهد رسول الله ﷺ فيأمرنا بقضاء الصوم، ولا يأمرنا بقضاء الصلاة» انتهى الأمر اتباع، وليس ابتداعا

أمر تسليم، وليس مناقضة

ولذلك قال أبو الزناد رحمه الله وهو من التابعين كما ذكر ذلك البخاري معلقًا بصيغة الجزم.

قال -رحمه الله-: «إن وجوه الحق والسنن لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي، ولا يجد المسلمون بدًا من اتباعها من ذلك أن الحائض تقضي الصوم ولا تقضي الصلاة».

«إن وجوه الحق والسنن لتأتي كثيرًا على خلاف الرأي» أي على خلاف الهوى، والفلسفات والأهواء،

ثم ضرب -رَحِمَهُ اللَّهُ- مثالًا بذلك أن الشرع جاء بأن الحائض تقضي الصوم الذي هو دون الصلاة، وتترك قضاء الصلاة التي هي أعظم من الصوم كل ذلك اتباع للوحي المنزل من عند الله -سبحانه وتعالى-.

كذلك للصوم ارتباط وثيق بتميز الأمة وقوتها، وأنها أمة ظاهرة تختلف عن اليهود والنصارى في كافة عباداتها، ولذلك قال النبي ﷺ كما في سنن أبي داود، ومسند الإمام أحمد قال النبي ﷺ: «لا يزال الدين ظاهرًا ما عجل الناس الفطر، فإن اليهود والنصارى يؤخرون».

« لا يزال الدين ظاهرًا» قويًا منيعًا لا ينقاد لأحد وربط ذلك النبي ﷺ بسنة يراها اليوم كثير من المسلمين أنها من القشور، أو من التوافه، أو من الأشياء التي لا تستحق ذكرًا قال: «ما عجلوا الفطر».

ثم علل ذلك النبي ﷺ بأن اليهود والنصارى يؤخرون الفطر

كأن النبي ﷺ يقول: إن من أسباب ذهاب دين اليهود والنصارى تركهم لسنة أنبيائهم، ومن تركهم لسنة أنبيائهم أنهم يؤخرون إفطارهم في حال صومهم.

واليوم نرى أكثر المسلمين إلا من رحم الله تعالى يتبعون اليهود والنصارى في تأخير إفطارهم، وفي تعجيل سحورهم، ولذلك لا نستغرب إذا ضربت عليهم الذلة والمسكنة، وسلط عليهم عدوهم من كل حدب وصوب، وصارت دماء المسلمين أرخص دماء على وجه الأرض ذلك بسبب أنهم تركوا مصدر قوتهم وهو اتباع سنة النبي ﷺ.

فنسأل الله -عز وجل- بأسمائه، وصفاته ومنه، وكرمه أن يجعلنا من الصائمين القائمين، وأن يتقبل منا صيامنا، وقيامنا، وأن يجعلنا من المقبولين عنده -سبحانه وتعالى-.

وأن يغفر لنا، ولأمواتنا، وأموات المسلمين.
هذا وصلى الله وسلم على نبينا محمد وعلى آله وأصحابه أجمعين!

رمضان وأهل الإعلام

مما ينبغي التنبه له والتحذير منه ذلك السلوك المشين الذي يتبعه أهل الإعلام في شهر رمضان؛ ذلك أن حال أهل الإعلام مع رمضان كأنهم يقولون بلسان حالهم: ربنا لم كتبت علينا الصيام، وكأنهم يقولون للمسلمين: إن هذا الصيام أمر شاق وشديد، ونحن نتولى تخفيف ذلك عنكم، وذلك بالملاهي، والأغاني، والأفلام والمسلسلات.

وهؤلاء من الذين يدخلون في قول الله عز وجل: ﴿وَاللَّهُ يُرِيدُ أَنْ يَتُوبَ عَلَيْكُمْ وَيُرِيدُ الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الشَّهَوَاتِ أَنْ تَمِيلُوا مَيْلًا عَظِيمًا﴾ [النساء: ٢٧].

قال ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ في تفسير هذا هذه الآية: «الذين يتبعون الشهوات ذكر بعض السلف أنهم هم الزناة؛ لأن الذين يدعون إلى فاحشة الزنا والعياذ بالله يريدون من الناس جميعًا أن يكونوا على طريقهم، وذكر بعض أهل التفسير من السلف أنهم هم اليهود والنصارى، ثم رجح ابن جرير رَحِمَهُ اللَّهُ أن كل متبع لشهوات نفسه، داعيًا إليها هو داخل في هذه الآية

هذه إرادة الله تعالى لعباده تقابلها إرادة أخرى وهي إرادة الذين يتبعون الشهوات ماذا يريدون من الناس؟

يريدون منهم أن يميلوا ليس ميلًا عاديًا، وإنما ميلًا عظيمًا عن الصراط المستقيم، ولذلك يحرصون كل الحرص على نشر الأغاني والموسيقى عقب الإفطار مباشرة، بل إن هناك موسيقى تسمى موسيقى الإفطار، والله المستعان!

والغناء والموسيقى كانا عند السلف من الأمور المحسومة أنها من الباطل، ومن المحرمات، لا يجادل في ذلك أحد من علماء السلف، ولا من عامتهم.

وأذكر مثلين يدلان على انتشار إنكار الغناء والمعازف في زمان السلف:

الأول: ما ذكره ابن أبي شيبة بإسناد صححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ قال: كان أصحاب عبد الله بن مسعود رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ يعني تلاميذه مثل علقمة، والأسود النخعي وغيرهما يستقبلون الجواري يخرقون الدفوف ؛ لأنهم ممكنون، وكان الناس تبع لعلمائهم.

إذا كان السلف يخرقون الدفوف التي عند أطفال المسلمين، فمن يخرق هذه القنوات التي امتلأت بالخنا، والفحش، والتبرج!

بل إن كثيرًا من مجالس هذه القنوات تجمع أنواعًا من المنكر

المطربات المتبرجات والمطربون الفسقة ، ولا ينقص هذه المجالس إلا الخمر، ولولا الحياء من الناس لجاءوا بكؤوس الخمر على مرأى الجميع.

هذه المجالس تعرض على أسر المسلمين، ويقدم هؤلاء على أنهم نجوم، وقد قرأت في بعض الصحف أنه تقدم لمسابقة ما يسمى نجوم الغد، وهي رجوم الغد أكثر من ثلاثة آلاف طفل ليشارك في هذه المسابقة !!!

والسلف يخرقون الدفوف من هؤلاء الأطفال، وهؤلاء يدعون الأطفال ليتخرجوا فنانين، نجوم الغد.

والمثال الثاني عن الخليفة الراشد، ولا أقول الخامس، الخليفة الراشد عمر بن عبد العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ.

كتب إلى بعض أهله ذكر ذلك النسائي في كتاب السنن، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ.

عن الأوزاعي قال: كتب عمر بن العزيز إلى عمر بن الوليد، قال: «فإن أباك قد أخذ الفيء من الناس، و إنما هو في الفيء كرجل من المسلمين» ثم قال: وهذا موضع الشاهد «وإنك أظهرت المعازف المزمار، وهذا بدعة في الإسلام، ولقد هممت أن أجز جمتك جمة السوء».

يعني عمر بن العزيز رَحِمَهُ اللَّهُ يقول لهذا الرجل: «إنك أظهرت المعازف والمزمار وهذا بدعة في الإسلام» بمعنى أن إظهار المعازف على الملأ لم يكن

معروفًا عند السلف، وإنما كان أهل الغناء من السفلة يستترون بغنائهم، ولم يكن معلنًا، فأنت أعلنته فابتدعت بذلك بدعة في الإسلام، وهذا حقيقة، فإن الغناء كان في السفلة، ولم يكن في الأشراف، ولا يعرف عند العرب عربي صريح بأنه كان فنانًا فإن العرب كانت تستنكر هذه المهن، وتجعلها عند أهل الوضاعة، وعند أهل السفل والنزالة، ولم يكن أحد من رجال العرب يتحرك طربًا، أو يرقص فإن هذا من خفة العقول المذمومة عندهم.

ولذلك قال بعض العلماء: إن الرقص حماقة بين الكتفين.

وهذه حقيقة، فإن كثرة الحركة من غير حاجة تدل على خفة العقل، ولذلك أكثر الناس حركة خفاف العقول مثل: الأطفال، والمجانين، والمخرفين.

أما دين الإسلام فجاء بالسكينة والوقار يقول النبي ﷺ في الحج الذي شرعت فيه الحركة «عليكم بالسكينة والوقار».

هؤلاء يريدون من الناس أن يمليوا ميلًا عظيمًا، ووراء كل فنان وفنانة من الرقصة والسفلة عالم ضلال يفتي بجواز هذا الخنا، والفسق والمجون.

فإن هؤلاء ليسوا من العلماء في شيء، وليسوا من العلم في شيء الذين يفتون بحل الموسيقى، أو بحل هذا الضرب من المنكرات هؤلاء ليسوا من العلماء، هم إلى العامة أقرب، بل هم إلى فسقة العامة أقرب.

وآثار الغناء معروفة، فالغناء رقية الزنا وهو سبب لدخول الوحشة، والشقاء إلى بيوت المسلمين، الغناء قرين الخمر، وقرين الزنا فكيف يكون في شهر رمضان، فكيف للمسلمين أن يفتحوا بيوتهم وأجهزتهم لهذا المنكر أن يدخل في بيوتهم.

«من لم يدع قول الزور» وإن الغناء من قول الزور، وإن الموسيقى من قول الزور فعلى الناس أن يتقوا الله سبحانه وتعالى ويتوبوا إليه، فهؤلاء

يريدون أن تميلوا ميلًا عظيمًا، يريدون منكم أن تتبعوا الشهوات، والمنكرات، وغير ذلك حتى لا تكون المعرة والعار خاصاً بهم.

كما قال بعض السلف: ودت الزانية أن تزني النساء كلهن.

فالعجب من مسلم يصوم النهار، ويتقرب إلى الله بالجوع والعطش، ثم إذا أفطر ركن إلى هذه الأجهزة وسمع ما أفسد عليه أجر صومه، وقلل حسناته.

بدعة الإمساكية

الأمر الثاني الذي أحب أن أنبه عليه تلك البدعة التي انتشرت بين المسلمين، ما يسمى بالإمساك، أو الإمساكية التي اعتمدت على التقاويم الفلكية

معروف أن الفجر فجران كما قال النبي ﷺ في سنن الترمذي، وغيره قال: «فجر كذنب السرحان» أي كذنب الثعلب يضرب في السماء مصعدًا مستطيلًا.

هذا هو الفجر الكاذب، و سمي كاذباً؛ لأنه لا يصدقك عن الفجر، يعني بعده لا يأتي الفجر يأتي ظلام؛ لذلك سمي كاذباً، هذا الفجر الكاذب عمودي ضوء أبيض عمودي في السماء بعده تأتي ظلمة، أما الفجر الصادق الذي يمسك عنده الإنسان فهو أبيض أفقي معترض مشرب بحمرة، ولذلك في صحيح مسلم قال النبي ﷺ: «ليس الفجر هكذا وصوب بيده إلى الأرض، وإنما الفجر هكذا ووضع السبابتين إحْدَاهُما فَوْقَ الأُخْرَى».

يعني أفقي معترض، وقال ﷺ كما في غير الصحيحين، وصححه الألباني رحمه الله قال: «كلوا واشربوا حتى يعترض لكم الأحمر».

يعني حتى يصير الفجر الأحمر ظاهرًا معترضًا، أما غالب المسلمين اليوم فإنهم يعتمدون على هذه الإمساكيات

يقولون : الفجر مثلًا الساعة الخامسة إلا عشر دقائق، الإمساك الساعة الخامسة، ما هو الإمساك؟

هو وقت احتياطي يضعه الناس حتى لا يقع الناس في الفطر وهذه بدعة، فإن النبي ﷺ رغب في تأخير السحور.

وثبت عن سهل بن سعد رضي الله عنه في البخاري قال: «كنت أتسحر عند أهلي، ثم تكون سرعتي أن أدرك السجود مع النبي ﷺ».

يعني : الصلاة.

معنى ذلك أنه بين أن يأكل السحور، وبين صلاة النبي ﷺ زمناً قليل، ولذلك ثبت في الصحيحين من حديث زيد بن ثابت رضي الله عنه قال: «كنا نتسحر مع النبي ﷺ، ثم نصلي الفجر، فقال أنس: «كم كان بين سحوركم، وصلاتكم؟ قال: قدر خمسين آية».

يعني زمن قليل، هذا التوقيت الفلكي يظن بعض الناس أنه أمر مضبوط، ومحكم، وهذه خرافة، هذه خرافة باعتراف الفلكيين أنفسهم.

أولًا: الفجر الفلكي ما هو، ما هو الفجر الفلكي؟

جاء في الموسوعة الفلكية: أن الفجر الفلكي هو أول ضوء يظهر من جهة المشرق، وما هو أول ضوء يظهر من جهة المشرق؟

هو الفجر الكاذب.

إذًا الفجر عند الفلكيين هو الفجر الكاذب.

طيب هل هم متفقون على توقيت هذا الفجر؟

لا، ليسوا بمتفقين باعتراف مرصد جرينتش وهو من أشهر المراصد الفلكية في العالم، ما سبب هذا الاختلاف؟

سبب هذا الاختلاف أن الفجر الفلكي لا يظهر عندهم إلا إذا كانت الشمس تحت الأفق بزاوية معينة، يعني الشمس لما تكون تحت الأفق بزاوية معينة يظهر الفجر الفلكي، الزاوية هذه كم؟

لا يوجد قول واحد للفلكيين؛ بعضهم يقول: عشرين، و بعضهم ثماني عشرة، وبعضم أربعين، ولذلك اعترفوا أنه من الصعب تحديد الفجر الفلكي تحديدًا دقيقًا هذا يدل على أن إثبات دخول رمضان، أو الإفطار، أو غيره بالتواقيت الفلكية أمر ظني مرجوح.

والسنة مضبوطة غاية الضبط، ضبطت هذا الأمر ضبطًا شديدًا؛ فلا حاجة للمسلمين بتقاويم الفلكيين، ولا بخرافاتهم، ولا بفلسفاتهم، فهذا الأمر تعبدي لا مدخل للفلكيين به، ولو ثبت أن خبرهم صحيح فإنه لا يقبل؛ لأنه في ميزان الشريعة كذب، من شروط قبول الخبر العدالة، وهؤلاء أكثرهم كفرة، وملاحدة، وزنادقة، وقليل من الصالحين منهم، ولو ثبت خبرهم وأنهم صالحون فهذا الخبر مردود شرعًا؛ لأنه مناقض لسنة النبي ﷺ.

هذا ونسأل الله تعالى أن يتقبل من الجميع!

فضل كتاب الله

معاشر المسلمين، فإنه يشرع في رمضان أن يُقبل على كتاب الله القرآن تلاوة، وتدبرًا ، ونظرًا في معانيه وأن يُستعان على ذلك بالتفاسير الموثوق بها ذلكم أن الله عز وجل شرف وكرم هذه الأمة بإنزال كلامه القرآن في رمضان، فقال سبحانه وتعالى: ﴿شَهْرُ رَمَضَانَ الَّذِي أُنْزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ وَبَيِّنَاتٍ مِنَ الْهُدَى وَالْفُرْقَانِ﴾ [البقرة: ١٨٥].

فلما كان ابتداء إنزال هذه النعمة العظمى في رمضان كان في ذلك إشارة إلى أن هذا الشهر مخصوص بمزيد عناية وإقبال على القرآن.

وقد جاء في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: كان النبي ﷺ أجود الناس بالخير، وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل، وكان جبريل يلقاه كل ليلة من رمضان يدارسه القرآن، فلرسول الله ﷺ حين يلقاه جبريل أجود بالخير من الريح المرسلة.

كان من هدي النبي ﷺ أن يتدارس القرآن مع جبريل عليه السلام في ليالي رمضان، وذلك أن الليل هو محل الهدوء فيحصل فيه اجتماع القلب، والمقصود من إنزال القرآن أن يتدبر وأن يعمل به؛ ﴿كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا آيَاتِهِ وَلِيَتَذَكَّرَ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ [ص: ٢٩].

فليل رمضان يسامر فيه المسلم كتاب الله عز وجل، فينتفع به.

والمؤسف أن المسلمين إلا من رحم الله بدل أن يقبلوا على كتاب الله في نهار رمضان، وليله فإنه يقبلون على قرآن الشيطان يقبلون على الغناء، وعلى المعاصي لا سيما في ليله، وإنها لخسارة عظيمة.

القرآن هو طريق السعادة والفلاح؛ قال تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا النَّاسُ قَدْ جَاءَتْكُمْ مَوْعِظَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ وَشِفَاءٌ لِمَا فِي الصُّدُورِ وَهُدًى وَرَحْمَةٌ لِلْمُؤْمِنِينَ

(٥٧) قُلْ بِفَضْلِ اللَّهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُوا هُوَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعُونَ﴾ [يونس: ٥٧، ٥٨].

الفرح المحمود يكون بأن تُعطى نصيبًا من فهم القرآن، وأن تكون ممن حكّم القرآن في حياته فاهتدى بهداه، لا يكون الفرح بهذه الدنيا فإنها زائلة، وعليها حساب شديد بين يدي رب العز والجلال.

ومن آيات القرآن، وكل آيات القرآن هدى وبينات، وشفاء، وموعظة، وصلاح للقلوب اسمع معي إلى قول الله تعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ (١٠٢) وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنْتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِنَ النَّارِ فَأَنْقَذَكُمْ مِنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ (١٠٣) وَلْتَكُنْ مِنْكُمْ أُمَّةٌ يَدْعُونَ إِلَى الْخَيْرِ وَيَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ (١٠٤) وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٢ - ١٠٥].

يخاطب الله عز وجل المؤمنين الذين ميزهم الله على سائر البشر بهذه النعمة التي هي نعمة الإيمان.

من استشعر أن هذا الخطاب موجه إليه، فليسعد بهذه النعمة الكبرى، وليكن أهلًا لتحملها فإن الإيمان يقتضي المسارعة إلى الخيرات، من سكن الإيمان قلبه، ولامست بشاشته فؤاده، فإنه يسارع إلى رضا ربه عز وجل، ولو بأن يلقي نفسه بين أسنة السيوف؛ ليلاقي الحتوف يموت هو مبتسم فرح سعيد أنه يرضي ربه سبحانه وتعالى.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ﴾ [آل عمران: ١٠٢] يأمر الله عز وجل المؤمنين أن يخافوا الله عز وجل، وأن يراقبوه، وأن يمتثلوا أوامره، ويجتنبوا نواهيه، فإن تقوى الله معقد العز والشرف والخير، والسعادة.

الخير والشرف والعز والسعادة والفلاح مربوطة بتقوى الله التي تحتاج إلى مجاهدة مستمرة للنفس حتى تُقام على الاستقامة إلى أن ينزل بك الموت، فإن الله عز وجل يحب المتقين.

﴿بَلَى مَنْ أَوْفَى بِعَهْدِهِ وَاتَّقَى فَإِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُتَّقِينَ﴾ [آل عمران: ٧٦].

وإن الله عز وجل مع المؤمنين بنصره، وتأييده، وتوفيقه كما بين الله ذلك في كتابه ﴿إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ﴾ [النحل: ١٢٨].

والعاقبة لأهل التقوى ﴿تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ﴾ [القصص: ٨٣].

ولأهل التقوى الفوز في الآخرة ﴿إِنَّ لِلْمُتَّقِينَ مَفَازًا﴾ [النبأ: ٣١] ولأهل التقوى الفرج من كل ضيق ﴿وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا (٢) وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ﴾ [الطلاق: ٢، ٣].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢].

وحق التقوى كما روى ابن أبي حاتم في تفسيره بإسناد صحيح عن عبد الله بن مسعود ﷺ قال: حق التقوى أن يطاع فلا يعصى، وأن يذكر فلا ينسى، وأن يشكر فلا يكفر.

هذا حق التقوى، وأساس التقوى توحيد الله رب العالمين قال الله عز وجل: ﴿وَأَلْزَمَهُمْ كَلِمَةَ التَّقْوَى وَكَانُوا أَحَقَّ بِهَا وَأَهْلَهَا﴾ [الفتح: ٢٦].

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ [آل عمران: ١٠٢] داوموا على طاعة الله، واستمروا على الإسلام حتى ينزل بكم الموت، وأنتم على توحيد، وصلاح، وطاعة وبذلك تكون الخاتمة الحسنة، فإن حسن الخاتمة أن تموت على التوحيد، وأن تموت على الإيمان.

في صحيح مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ أن النبي ﷺ قال: «من أحب أن يزحزح عن النار ويدخل الجنة فلتأته منيته» يعني

يموت «وهو يؤمن بالله، واليوم الآخر، وليأتِ إلى الناس الذي يحب أن يؤتى إليه» أو كما قال النبي ﷺ.

فالعبد لا بد أن يحرص على ملازمة الطاعة؛ لأن من عاش على شيء مات عليه، من عاش على محبة الله وطاعته، وعلى الحذر من معصيته وفقه الله عز وجل للخير عند الموت، وأنزل الله الملائكة تثبته، وتبشره في تلك اللحظة العصيبة التي سيمر بها كل حي فلا حميم، ولا صديق، ولا عزيز يستطيع أن يسدي إليك معروفًا في تلك اللحظة فيما يتعلق بخروجك من الدنيا.

وفي هذه الآيات الأمر من الله عز وجل للمؤمنين أن يذكروا نعمه عليهم، وذكر نعم الله من أجل العبادات، ومن الواجبات المفروضات .

يجب عليك أن تتذكر نعم الله التي أحاطت بك من كل جانب حتى تحب الله، وتقوم بشكره قال تعالى: ﴿وَأَسْبَغَ عَلَيْكُمْ نِعَمَهُ ظَاهِرَةً وَبَاطِنَةً﴾ [لقمان: ٢٠].

وقال تعالى: ﴿وَإِنْ تَعُدُّوا نِعْمَتَ اللَّهِ لَا تُحْصُوهَا إِنَّ الْإِنْسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ﴾ [إبراهيم: ٣٤].

يجب عليك أن تتذكر النعم التي لا تحصى، ولا تعد من ربك سبحانه وتعالى حتى يقودك ذلك إلى محبته،وإلى القيام بشكره ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وقال تعالى: ﴿وَاشْكُرُوا لِلَّهِ إِنْ كُنْتُمْ إِيَّاهُ تَعْبُدُونَ﴾ [البقرة: ١٧٢].

إذا كنتم من أهل التوحيد والعبادة فيجب عليكم أن تشكروا ربكم سبحانه وتعالى وذلك بالاعتراف بأن جميع النعم من عنده، وبالتحدث بهذه النعم حمدًا، وثناء، وبأن تصرفوا هذه النعم بجوارحكم فيما يقربكم من ربكم سبحانه وتعالى.

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا للشكران!

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، يقول ربنا -سبحانه وتعالى-: ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

أمر الله -عز وجل- المؤمنين أن يتحصنوا وأن يمتنعوا، وأن يتمسكوا بحبل الله، والحبل موضوع للسبب الذي يوصل إلى المراد، ولا مراد أعظم في قلب المؤمن من أن يرضى عنه ربه -سبحانه وتعالى-، وأن يكون من أهل الجنة.

فالطريق إلى رضا الله، وإلى الجنة إنما هو اتباع الصراط المستقيم الذي فيه تمسك بالكتاب والسنة على منهج سلف الأمة، والذي فيه اجتماع على هذا الخير.

أمر الله -عز وجل- بالجماعة، ونهى عن الفرقة، فالجماعة رحمة، والفرقة عذاب ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

هذا أمر بالجماعة على التوحيد والسنة، وعلى الطاعة واشتمل أيضًا على نهي عن الفرقة، فالفرقة منهي عنها، وأكد الله ذلك بقوله: ﴿وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ﴾ [آل عمران: ١٠٥].

توعدهم الله بالعذاب العظيم على الفرقة بعد مجيء البينات، الفرقة في هذه الشريعة ممنوعة، يلزم المسلمون أن يتعاطوا جميع أسباب البعد عنها، فلا يجوز أن يُفرق المسلمون إلى أحزاب، وإلى فرق، وإلى تكتلات

لا وجود للأحزاب، ولا للفرق، ولا لما يسمى بالجماعات في دين الله -عز وجل-.

قال تعالى: ﴿إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ﴾ [الأنعام: ١٥٩].

ولهذا جاء عن أم سلمة رضي الله عنها أن رسول الله ﷺ برئ ممن فرق دينه واحتزب، برئ ممن فرق دينه واحتزب.

ويقول الله -عز وجل-: ﴿وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ (٣١) مِنَ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا كُلُّ حِزْبٍ بِمَا لَدَيْهِمْ فَرِحُونَ﴾ [الروم: ٣١، ٣٢].

على ما يتفرق المسلمون؟

إلى جماعات متعادية، متباغضة، وإلى أحزاب متناحرة!

وربهم واحد، ونبيهم واحد، ودينهم واحد، وقبلتهم واحدة

فرقتهم الأهواء، والمطامع، والإيثار والمحبة لهذه الدنيا الغرارة.

لا يجوز بحال أن يتفرق المسلمون هذا أصل من أصول الدين، لا يشغب عليه بالشبهات، ولا بالحيل الضعيفات ﴿وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا وَاذْكُرُوا نِعْمَتَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنْتُمْ أَعْدَاءً فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُمْ بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا﴾ [آل عمران: ١٠٣].

الإخوة تقوم على ظلال العقيدة والتوحيد، والسنة، فإذا تفرق أهل التوحيد، وتشتت أهل السنة فعليهم أن يراجعوا أنفسهم، فمن قبل ذنوبهم أُتوا، من قبل تقصيرهم أصابهم البلاء.

ولا ريب أن تآلف القلوب نعمة عظيمة قال تعالى: ﴿فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ (٦٢) وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [الأنفال: ٦٢، ٦٣].

فالألفة من الله تستمد بطاعته، وبالدعاء.

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يعفو عنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يمسكنا بالإسلام والسنة حتى نلقاه.

ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ

للدعاء في شهر رمضان مزيد خصوصية

وذلك لأمور، منها : ما جاء في الشرع من الترغيب في الاجتهاد في العبادة في هذا الموسم العظيم.

والدعاء من أجل العبادات، وأفضل القربات؛ روى الإمام أحمد والبخاري في الأدب المفرد، وصححه الإمام الألباني رَحِمَهُ اللَّهُ أن النبي ﷺ قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء»

وثبت عند ابن حبان، وصححه الإمام الألباني أن النبي ﷺ قال: «أعجز الناس من عجز عن الدعاء».

ومنها أن قوله تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

هذه الآية التي اشتملت على بيان قرب الله عز وجل من عابديه، وعلى إجابته لسائليه، جاءت متخللة الآيات التي اشتملت على أحكام الصيام.

قال ابن كثير في معنى كلامه: وفي هذا إشارة إلى فضل الدعاء في شهر رمضان.

ومنها ما أخبر به النبي ﷺ أن من الدعوات التي لا ترد دعوة الصائم حتى يفطر، فدعوة المتلبس بهذه العبادة من طلوع الفجر الصادق إلى غروب الشمس لا ترد فاغتنم يا عبد الله، هذا الخير.

وأما ما جاء من أن للصائم عند فطره دعوة لا ترد، فالذي استقر عليه نقد المحدث الإمام الألباني أن هذا الحديث ضعيف، وعليه فلا مزية للدعاء عند الإفطار، والله تعالى أعلم.

يا عبد الله، عليك أن تديم قرع باب السماء، عليك أن تنزل حوائجك بالله رب العالمين، فإن الله يحب الملحين في الدعاء.

ثم إن الدعاء يشتمل على مقامات إيمانية عظيمة فإنه لا يُدعى أحد سوى الله فيما لا يقدر عليه إلا هو سبحانه وتعالى؛ ككشف الكربات، وكحصول الحاجات، وكهداية القلوب

من أعظم الناس إثمًا، وباطلًا، وكفرًا من دعا غير الله، من استغاث بغير الله، بهؤلاء الفقراء، فإن جميع الخلق فقراء لا يملكون لأنفسهم نفعًا، ولا ضرًا، الأنبياء، والأولياء، والملائكة، والجن قال تعالى: ﴿وَمَنْ أَضَلُّ مِمَّنْ يَدْعُو مِنْ دُونِ اللَّهِ مَنْ لَا يَسْتَجِيبُ لَهُ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ وَهُمْ عَنْ دُعَائِهِمْ غَافِلُونَ (٥) وَإِذَا حُشِرَ النَّاسُ كَانُوا لَهُمْ أَعْدَاءً وَكَانُوا بِعِبَادَتِهِمْ كَافِرِينَ﴾ [الأحقاف: ٦].

من أعظم الناس ظلمًا من نزلت به ملمة، أو أصابته مصيبة، أو عرضت له حاجة فتوجه إلى القباب والأضرحة وإلى المقبورين، هذا من أعظم الناس ظلمًا، ﴿وَلَا تَدْعُ مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُكَ وَلَا يَضُرُّكَ فَإِنْ فَعَلْتَ فَإِنَّكَ إِذًا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾ [يونس: ١٠٦].

كيف يتوجه العبد بدعاء إلى غير الله، وأزّمة الأمور بيديه.

الدعاء من أفضل العبادات، وعد الله من توجه إليه بالدعاء وعده بالإجابة فأنت مع دعاء الله في ربح لا خسران فيه، أنت في ربح مستمر قال تعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ﴾ [غافر: ٦٠] هذا وعد الله سبحانه وتعالى، وإذا كان الدعاء بهذه المنزلة لا سيما في رمضان، فالموفق هو الذي يستعمل الأدعية النبوية المأثورة عن خير البرية

والمخذول من يترك أدعية الرسول ويدعو بأدعية رجل جهول

الذين يدعون الله بأدعية مخترعة، وظّفها أصحاب الطرق، ويتركون دعاء أعرف الخلق بالله عز وجل وهو نبينا ﷺ هؤلاء مخذولون، أنفع،

وأجمع، وأبرك، وأحسن الأدعية هي أدعية أعرف الخلق بالله وهو نبينا محمد ﷺ.

ومن هذه الأدعية ما أخرجه الإمام أحمد وأصحاب السنن والبيهقي والحديث صححه جماعات من العلماء، فلا تلتفت إلى من ضعفه؛ كأحد أدعية قنوت الوتر، فالحديث صحيح عن الحسن بن علي رضي الله عنهما سبط رسول الله ﷺ وريحانته قال: علمني رسول الله ﷺ كلمات أقولهن في قنوت الوتر «اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت، وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت، وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت تباركت ربنا وتعاليت، لا منجأ منك إلا إليك».

تمعن يا عبد الله، في هذه الكلمات المباركات، تأمل في هذه المطالب العظيمات لتعرف عظيم خسارة من لم يقتد برسول الله ﷺ في استعمال الأدعية النبوية، هذه كلمات من نور، هذه كلمات شملت خير الدنيا والآخرة.

العبد يتحير في روعة هذه الكلمات، وفي جلال هذه المطالب الغاليات.

«اللهم اهدني فيمن هديت» فيمن هديت هذا توسل إلى الله عز وجل بسابق نعمته على عباده الصالحين، من الأنبياء، والأولياء، والصالحين.

«اللهم اهدني فيمن هديت» والهداية تشمل الهداية إلى العلم النافع وهو ما جاء عن رسول الله ﷺ وما جاء عن السلف، وتشمل الهداية إلى العمل الصالح؛ لأن من علم ولم يعمل فهذا ليس مهتديًا، وتشمل الثبات على الدين هذا كله في هذه العبارة.

«اللهم اهدني فيمن هديت» وعندما تقول هذه العبارة «اللهم اهدني فيمن هديت» تتذكر السابقين الأولين من المهاجرين والأنصار قال تعالى: ﴿وَالسَّابِقُونَ الْأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالْأَنْصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُمْ بِإِحْسَانٍ

رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمْ وَرَضُوا عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ﴾ [التوبة: ١٠٠].

تتذكر أولئك الأخيار الذين سبقوك بالهداية، وهذا التذكر يفيدك كما ذكر ابن القيم أن الهداية فيما كان عليه أصحاب محمد، وبهذا تلزم منهجهم، الآن كثير من المسلمين يتخبطون في تنظيرات ومناهج بشرية، هذا مع جماعة كذا، هذا مع طريقة كذا، هذا مع حزب كذا، هذا كله باطل.

الحق محصور فيما كان عليه الرسول ﷺ، وما كان عليه أصحابه رضي الله عنهم.

«اللهم اهدني فيمن هديت» يعني فيمن هديتهم على رأسهم الرسول ﷺ، وعلى رأسهم الصحابة، أسأل الله عز وجل أن يهدينا سواء السبيل!

الخطبة الثانية

عباد الله، فإن مثل هذه الخطبة لا تتسع للكلام عن مفردات هذا الدعاء المبارك.

ونسأل الله أن ييسر إكمال التعليق عليه، وراجعوا كتب شروحات الأحاديث.

«اللهم اهدني فيمن هديت، وعافني فيمن عافيت» المراد سؤال الله عز وجل المعافاة في القلوب، والأبدان؛ لأن الأبدان كما تمرض فإن القلوب تمرض، وأشد الأمراض أمراض القلوب، أمراض القلوب تكون بالشبهات، وتكون بالشهوات كم من صريع للبدعة؛ لأن قلبه مات، مرض!

وكم من صريع للمعصية ألف المعصية، وأحبها، وتعلق بها لا يستطيع أن يفارقها؛ لأن قلبه مريض!

وكذلك يسأل العبد ربه عز وجل أن يعافيه من مرض البدن؛ «اللهم عافني فيمن عافيت».

ومن أعظم المطالب أن يرزقك الله عز وجل العافية.

جاء عن الترمذي أن النبي ﷺ قال: «اسألوا الله العفو والعافية، فما أعطى الله أحدًا بعد اليقين خيرًا من العافية».

«وتولني فيمن توليت» يريد بهذا الولاية الخاصة التي تقتضي التوفيق للعمل الصالح، والثبات على الدين ﴿اللَّهُ وَلِيُّ الَّذِينَ آمَنُوا يُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ﴾ [البقرة: ٢٥٧].

«وتولني فيمن توليت، وبارك لي فيما أعطيت» من العمر، والأولاد، والأموال، والعلوم الشرعية، والأعمال الصالحة «وبارك لي فيما أعطيت».

والبركة شأنها عظيم، البركة هي الخير الكثير الثابت من الذي يبارك؟

إنه الله رب العالمين ﴿وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ وَعَلَى إِسْحَاقَ﴾ [الصافات: ١١٣].

الذي يبارك هو الله، لا يبارك أحد سوى الله سبحانه وتعالى، وإذا وضع الله البركة في شيء كثر، وكان فيه الخير.

«وقني شر ما قضيت» قني يعني احفظني « شر ما قضيت» ما هنا اسم موصول، وليست حرفًا مصدريًا.

«وقني من شر ما قضيت» يعني قني شر الذي قضيته؛ لأن أفعال الله ليست فيها شر، أفعال الله أفعال ربنا سبحانه وتعالى كلها خير كما قال أعرف الخلق به: «والشر ليس إليك».

الشر في المقضيات، «وقني شر ما قضيت، فإنك تقضي ولا يقضى عليك» الذي يحكم هو الله، وهذا يشمل القضاء الشرعي، والكوني «فإنك تقضي ولا يقضى عليك».

قال تعالى: ﴿وَاللَّهُ يَحْكُمُ لَا مُعَقِّبَ لِحُكْمِهِ﴾ [الرعد: ٤١].

وقال تعالى: ﴿لَا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ﴾ [الأنبياء: ٢٣].

« فإنك تقضي ولا يقضى عليك، إنه لا يذل من واليت، ولا يعز من عاديت» من والاه الله فليس عليه ذل، ومن عاداه الله فليس له عز

وأنت تستجلب موالاة الله بطاعته

هذه الأمة لما شردت عن منهج الله، وتركت دين الله إلا من رحم الله لم تتركه تركًا مطلقًا، هذه الأمة لما صنعت ذلك أذلها الله، انسلب منها العز، العز مسلوب من الأمة منذ زمن.

«تباركت ربنا وتعاليت» تباركت: يعني كثر خيرك، وعم ووسع كل المخلوقات، جميع المخلوقات تتقلب في خير من؟ في خير ربنا سبحانه وتعالى.

وتعاليت: علوًا ذاتيًا، وعلوًا وصفيًا، فجميع صفات الكمال لربنا الكبير المتعال، والله سبحانه وتعالى في السماء كما قال: ﴿وَهُوَ الْعَلِيُّ الْعَظِيمُ﴾ [البقرة: ٢٥٥].

تعاليت يعني ثبت لك العلو الذاتي، والوصفي، وثبت لك التنزه عن النقائص، وعن مماثلة المخلوقات.

أسأل الله عز وجل أن يعفو عنا، وأن يغفر لنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن يوفقنا للثبات على دينه وبارك الله فيكم!

رابطة الإسلام - زكاة الفطر

معاشر المسلمين، فمن محاسن دين الإسلام أنه ربط أهله برابطة وثيقة من المحبة والمودة .

ربط الإسلام بين أتباعه برابطة لا إله إلا الله، وهي رابطة الإيمان التي تُوحد بين أهلها قال تعالى: ﴿إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ﴾ [الحجرات: ١٠].

ربط الإسلام بين أهله بهذه الرابطة العظيمة ملغيًا جميع الروابط الجاهلية، والعصبية التي تفرق بين الناس تبعًا للعرق والجنس، و اللون، والحزبية الباطلة، ورابطة المودة والمحبة بين أهل الإسلام تقتضي أن يرحم بعضهم بعضًا، وأن يُعين بعضهم بعضًا، وأن يتلمس بعضهم حاجة إخوانه؛ ليسدها

وهذا الأصل تكاثرت عليه الأدلة، وحسبنا أن نُذكّر ببعضها، فربنا عز وجل يُبيّن أن من أسباب صلي العذاب في النار يوم القيامة ترك هذا الأصل العظيم قال تعالى: ﴿ مَا سَلَكَكُمْ فِي سَقَرَ (٤٢) قَالُوا لَمْ نَكُ مِنَ الْمُصَلِّينَ (٤٣) وَلَمْ نَكُ نُطْعِمُ الْمِسْكِينَ﴾ [المدثر: ٤٢ - ٤٤].

فمن أسباب صليهم العذاب تركهم إطعام المسكين فدل على وجوب إطعامه.

وفي الصحيحين من حديث النعمان بن بشير رضي الله عنهما يقول النبي ﷺ: «مثل المؤمنين في توادهم، وتراحمهم وتعاطفهم مثل الجسد الواحد إذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى».

ما أروع هذا المثل الذي يصور علاقة المسلمين بعضهم مع بعض بعلاقة أعضاء الجسد به، فالمسلمون جسد واحد، وإذا لم يتحقق هذا الأمر فهذا يدل على نقص في التزام هذا الشرع المبين.

ومن شواهد هذه المحبة، والمودة، ومن شواهد هذا التراحم، والتعاطف أن الشريعة أوجبت على كل مقتدر أن يخرج زكاة فطره مواساة للفقراء والمهاجرين فإن المسلم لا يرضى أن يكون في صلاة العيد مسرورًا، ومن المسلمين من يتمزق قلبه؛ لأن أولاده في البيت جياع لا يملكون، ولو أقل من صاع، كيف يكون فرحًا وقد عض كلب الجوع بطون أولاده، فهو يراهم يتقلبون باكين.

أوجبت على كل مقتدر أن يخرج زكاة فطره، وأن يدفعها للفقراء والمساكين تطهيرًا لما وقع منه في صومه من تقصير، ومواساة لكل مسكين وفقير، وشكرًا لله العلي القدير.

جاء في الصحيحين عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر من رمضان صاعًا من تمر، أو صاعًا من شعير على الحر والعبد، والذكر والأنثى، والصغير والكبير من المسلمين، وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة».

وفي الصحيح: «وكان ابن عمر رضي الله عنه يعطيها للذين يقبلونها وكانوا يعطون قبل العيد بيوم، أو يومين».

وفي سنن أبي داود وصححه الإمام الألباني عن ابن عباس رضي الله عنهما قال: «فرض رسول الله ﷺ زكاة الفطر طهرة للصائم من اللغو والرفث، وطعمة للمساكين، فمن أداها قبل الصلاة فهي زكاة مقبولة، ومن أداها بعد الصلاة فهي صدقة من الصدقات».

وثبت في صحيح البخاري عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: «كنا نخرج زكاة الفطر من رمضان على عهد رسول الله ﷺ صاعًا من طعام، وكان طعامنا يومئذ التمر والشعير، والزبيب والأقط».

يستفاد من مجموع هذه الأحاديث أن زكاة الفطر واجبة، ومتعينة

وهي متعينة على كل مسلم وجد ما يزيد على قوته وقوت عياله يوم العيد، وليلته، فليس نصابها أدنى نصاب من زكوات المال كما قال بعض الفقهاء، بل كل من وجد ما يزيد عن حاجته، وحاجة عياله يوم العيد وليلته فإنه يجب عليه أن يخرج زكاة الفطر.

وهي واجبة على الرجل ويُخرجها كذلك عن من تلزمه نفقته؛ لأن النبي ﷺ كما عند الدارقطني أمر بأداء زكاة الفطر عمن تمونون؛ أي عمن تنفقون عليهم، فيجب عليك أن تخرج زكاة الفطر عمن تنفق عليهم من زوجة وأولاد، وأب، وأم.

وقدر هذه الزكاة بينه رسول الله ﷺ فيما أخبر به عنه أصحابه فهي صاع من غالب قوت أهل البلد، وليست منحصرة في خمسة أصناف كما ذهب إلى ذلك بعض الفقهاء.

بعض الفقهاء حصر أصناف زكاة الفطر في التمر والشعير، والزبيب والأقط، وجعل السلت لما كان نوعًا من الشعير راجعًا إليه، هذا ليس صوابًا، الصواب أن زكاة الفطر تُخرج من غالب قوت أهل البلد، فإذا كانوا يقتاتون الذرة فمن الذرة عن كل فرد صاع من الذرة، وإذا كانوا يقتاتون الدخن فكذلك، وإذا كانوا يقتاتون الأرز فكذلك، وإذا كان أهل القطب المتجمد يقتاتون اللحم ولا قوت لهم إلا اللحم فإنهم يخرجون من اللحم صاعًا

غير أنه يجزئ من القمح نصف صاع.

والدليل على ذلك ما ثبت عند الإمام أحمد في مسنده، وعند الطحاوي بسند على شرط الشيخين عن أسماء رضي الله عنها أنها كانت تخرج على عهد رسول الله ﷺ عن أهلها الحر والمملوك منهم مدين من قمح، أو صاع بالمد، أو بالصاع الذي يقتاتون به

وهذا مما له حكم الرفع؛ لأنها كانت تخرجه على عهد رسول الله ﷺ، تخرج مدين من قمح، وهو الذي صرح به جماعات من أصحاب رسول الله ﷺ منهم: عثمان بن عفان، ومنهم علي بن أبي طالب رضي الله عنهما.

فالقمح يجزئ منه نصف صاع

وهذه الزكاة إنما تدفع للفقراء والمساكين كما هو مذهب الإمام مالك واختاره شيخ الإسلام ابن تيمية وابن القيم، والإمام الألباني فلا تدفع هذه الزكاة لمصارف زكاة المال كلهم، بل يُخصص بها الفقراء، والمساكين.

ففي أثر ابن عباس رضي الله عنهما «طعمة للمساكين».

ووقت إخراج هذه الزكاة صبيحة يوم العيد قبل الصلاة، ويجوز أن تُعجّل قبل العيد بيوم، أو يومين على أن تدفع للعامل، أو للوكيل الذي يتولى توزيعها على الفقراء والمساكين بعد طلوع فجر يوم العيد؛ لأن الصواب أن هذه الزكاة تجب بغروب الشمس، بغروب شمس آخر يوم من أيام رمضان، وتدفع للفقراء صبيحة يوم العيد قبل الصلاة؛ لأنه في أثر ابن عمر رضي الله عنهما «وأمر بها» من الذي أمر؟

رسول الله ﷺ، والأمر للوجوب.

«وأمر بها أن تؤدى قبل خروج الناس إلى الصلاة»، وكان ابن عمر رضي الله عنهما يعطيها للذين يقبلونها، وكانوا يعطون قبل العيد بيوم أو يومين، وفي أثر آخر بثلاثة أيام، لكنها توزع على المستحقين صبيحة يوم العيد، ولا بأس أن يوزع رجل واحد زكاة فطره على جماعة من الفقراء، ولا بأس أن يعطي جماعة زكاة فطرهم لواحد.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يفقهنا في الدين، وأن يمسكنا بسنة سيد الأنبياء والمرسلين!

الخطبة الثانية

إخوة الإسلام، يقوم دين الإسلام على أصلين

هذا الأصلان هما: ألا يعبد إلا الله، وألا يعبد الله إلا بما شرع

فمن عبد غير الله فهو مشرك كافر، من استكبر عن عبادة الله فهو مستكبر كافر، ومن عبد الله وحده فهو مؤمن موحد، ومن عبد الله وفق سنة رسول الله ﷺ وبنى أمره على الاتباع ولم يُعرّج إلى أذواق، ولا إلى نتاج عقول، فهذا هو السني المتبع، ومن انحرف عن سنة رسول الله ﷺ، وتعبد بما يحلو له، وبما يدعوه إليه عقله فهذا مبتدع ظالم.

أصلان عظيمان؛ ألا يعبد إلا الله، وأن يعبد الله بما شرع

قد بعث الله نبينا محمدًا ﷺ؛ ليدلنا على صراط الله المستقيم، وأوجب الله طاعته، وأمر باتباعه، وزكاة الفطر عبادة.

هذه العبادة ما هو الجنس الذي كانت تُخرج منه على عهد رسول الله ﷺ؟

كانت تخرج على عهد رسول الله ﷺ طعامًا صاعًا من شعير، أو صاعًا من تمر، طعمة للمساكين .

فهذا هو الجنس الذي حُدّد في السنة لإخراج زكاة الفطر، فلا يجوز العدول عنه؛ لأنها عبادة والعبادة تؤدى كما جاء في النص

وبهذا يُعلم حكم إخراجها نقودًا، ما حكم إخراج زكاة الفطر نقودًا؟

لا تُجزئ ولا تجوز، لا يجوز أن تُخرج نقدًا، وإذا أخرجت فلا تجزئ؛ لأمور:

أنها عبادة بيّن رسول الله ﷺ جنسها، فالعدول عن هذا الجنس إخراج للعبادة عن صورتها التي ورد بها النص

ولأن الصحابة لم يخرجوها إلا طعامًا فإخراجها نقدًا مخالف لعمل الصحابة، ولأن النبي ﷺ ذكر أجناسًا متعددة تختلف في قيمتها، فقيمة

البر تختلف عن قيمة الشعير، وقيمة الشعير تختلف عن قيمة التمر، وقيمة التمر تختلف عن قيمة الزبيب.

أجناس تختلف قيمها، فلو كانت القيمة مجزئة لحدد النبي ﷺ قيمة نوع ورد إليه الأنواع الأخرى

ولأن هذه الزكاة من جملة الشعائر التي يُستحب إظهارها، وإذا أُخرجت نقودًا كانت صدقة خفية ففات جعلها من الشعائر التي تُظهر

إخراجها نقدًا لا يجوز، ولا يجزئ وهو مذهب الجمهور

هو مذهب مالك، والشافعي، وأحمد، ولما قيل للإمام أحمد: إن ناسًا يزعمون أن عمر بن العزيز كان يقبل القيمة، فقال الإمام أحمد -رحمه الله-: يردون قول رسول الله ﷺ لقول فلان، وفلان

هؤلاء ما زادوا على أن ردوا قول رسول الله ﷺ أخذًا بقول فلان، أو فلان.

فيا أمة الإسلام، إنه دين، وإنه أمر عظيم لا يتحمل شيء من التساهل، ولا يتحمل شيء من إعمال العقول

يقولون: الفقير أحوج إلى النقود، فنقول: ﴿وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا﴾ [مريم: ٦٤].

الفقير يحتاج إلى مال ليشتري كسوة العيد لأولاده يقال كان المال موجودًا على عهد النبي ﷺ، ولهذا وجبت زكاة النقدين، وجبت زكاة الذهب والفضة فهذا يدل على وجود الدنانير، وعلى جود الدراهم، والفقراء موجودون، أفأنتم أحرص على الفقراء من ربهم -عز وجل- الذي بعث نبيه ليبين للناس أمر دينهم.

يقولون: الفقير سيبيع زكاة الفطر إذا كانت طعامًا.

نقول: إذا دخلت ملكه فهو مخير إن شاء أبقاها، أو أبقى بعضها، وإن شاء باع، وإذا باع رخصت الأسعار، وانتفع المسلمون.

طاعة رسول الله ﷺ مفترضة على كل أحد، ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا﴾ [الحشر: ٧].

أسأل الله -سبحانه وتعالى- أن يوفقنا لكل خير، وبارك الله فيكم!

فضل الذكر

معاشر المسلمين، فإن من أجل الطاعات، ومن أفضل أعمال القرب والصالحات ذكر الله عز وجل ودعاؤه على جميع الحالات.

والرب سبحانه إن وفق العبد إلى إدامة الذكر والدعاء فإنه يُرقّيه بذلك إلى أرفع الدرجات يقول ربنا سبحانه وتعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ﴾ [البقرة: ١٨٦].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَقَالَ رَبُّكُمُ ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِي سَيَدْخُلُونَ جَهَنَّمَ دَاخِرِينَ﴾ [غافر: ٦٠].

أمرنا ربنا عز وجل بدعائه، ووعدنا بالإجابة، و توعدنا على ترك الدعاء، فما أكرم ربنا سبحانه وتعالى، وما أجله، وما أرحمه، وقد ثبت عن النبي ﷺ فيما صححه الإمام الألباني، وأخرجه الحاكم وغيره ثبت عنه ﷺ أنه قال: «ليس شيء أكرم على الله من الدعاء».

وأما ذكر الله فيقول شيخ الإسلام ابن تيمية رحمه الله: «وإدامة العبد ذكر الله تعالى وملازمته له أفضل الأعمال بالجملة »

أفضل عمل صالح بالجملة أن يلازم المسلم ذكر ربه عز وجل دائمًا يقول الكريم سبحانه وتعالى: ﴿فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ وَاشْكُرُوا لِي وَلَا تَكْفُرُونِ﴾ [البقرة: ١٥٢].

وجاء عن النبي ﷺ في صحيح مسلم أنه قال: «سبق المفرودون» فالذكر من أسباب السبق؛ ذلك أن التسابق والمنافسة إنما تشرع في أمور الآخرة، من نافسك في الدنيا فاتركها له، ونافسه في الآخرة

من الذي يسبق في الدنيا والآخرة في ميزان رب العزة والجلال.

يقول ﷺ: «سبق المفردون، قالوا: يا رسول الله، ومن المفردون؟ قال: «الذاكرون الله كثيرًا، والذاكرات».

يقول ربنا عز وجل: ﴿وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾ [الأحزاب: ٣٥].

وذكر الله منه مطلق، ومنه مقيد قال سبحانه وتعالى: ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢].

اشتملت هذه الآية على ذكر الله المطلق الذي لم يقيد بزمن، ولا حالة، ولا عدد، وعلى ذكر الله المقيد الذي قيد بزمن، أو حالة، أو بعدد.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا (٤١) وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا﴾ [الأحزاب: ٤١، ٤٢] وليس المراد استيفاء فضائل الذكر والدعاء، فإن ذلك أمر ليس ممكنًا بالنسبة إلى مثلي، وبالنسبة إلى هذه الخطبة، ولكنها توطئة

ذكر العلماء أن العبد إذا واظب على الأذكار المقيدة المأثورة عن رسول الله ﷺ من أذكار الصباح والمساء، وأذكار النوم، والاستيقاظ وأذكار دخول المنزل، والخروج منه إلى غير ذلك من الأذكار التي صحت عن سيد الخلق نبينا محمد ﷺ.

وهي الأذكار التي يُشرع المواظبة عليها، وملازمتها

وما أخسر صفقة من عدل عن الأذكار النبوية إلى أذكار مبتدعة لم ينزل الله بها من سلطان؛ كأذكار أصحاب الطرق من الرواتب وغيرها التي لم يقم عليها دليل صحيح.

من واظب على الأذكار الموظفة في اليوم والليلة فإنه من الذاكرين الله كثيرًا، والذاكرات.

وأما الذي يوفق إلى جنب ذلك إلى أن يشغل لسانه بذكر ربه عز وجل فهذا من السابقين الموفقين، وصنيعه يدل على حبه لربه عز وجل ﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً﴾ [الأنفال: ٤٥] فئة مقاتلة هذا عند التقاء الأقران، وعند قطف الرؤوس.

﴿يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا﴾ [الأنفال: ٤٥] أنت مأمور حتى في الجهاد عند ملاقاة الأعداء أن تذكر ربك عز وجل؛ لأن ذكره زاد يُقوّي.

من الأذكار المقيدة ما رواه الإمام أحمد وأصحاب السنن وصححه الإمام الألباني عن أم سلمة رضي الله عنها قالت: «ما خرج رسول الله ﷺ من بيته قط إلا قال: «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِل أَوْ أُضَل، أَوْ أَزِل أَوْ أُزَل، أَوْ أَظلِم أَوْ أُظْلَم، أَوْ أَجْهَل أَوْ يُجْهَلَ».

وفي رواية عند أصحاب السنن لحديث آخر زيادة: «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ».

وأما ماجاء في بعض طرق هذا الحديث من أنه ﷺ كان يرفع طرفه إلى السماء، ثم يقول هذا الدعاء، والذكر، فهذه لم تثبت عن النبي ﷺ أعلها الإمام الألباني بالشذوذ

فيكون الذكر المشروع عند الخروج من المنزل بالنظر إلى الحديثين «بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِل أَوْ أُضَل، أَوْ أَزِل أَوْ أُزَل، أَوْ أَظلِم أَوْ أُظْلَم، أَوْ أَجْهَل أَوْ يُجْهَلَ».

ما أبرك هذا الدعاء، وما أجل هذه الكلمات التي خرجت من شفتي أعلم الخلق بربه عز وجل، وهو نبينا محمد ﷺ.

إذا خرج العبد من بيته قال: بسم الله، والعلماء ذكروا أن الباء في بسم الله للاستعانة والتبرك، فالعبد يستعين ربه عز وجل ويتبرك باسمه؛ لأنه يعلم أنه لا شيء يقع إلا بتقدير الله سبحانه وتعالى، وأن الشيء الذي يقع

لا يكون نافعًا ينفع العبد في الدنيا والآخرة إلا إذا بارك عليه ربه سبحانه وتعالى.

«باسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ» لأن العبد في الغالب إذا خرج من بيته يخرج؛ ليبطش في الأرض، وليبحث عن الرزق فهو يقول: توكلت على الله، والتوكل على الله من أعظم المقامات الإيمانية.

قال تعالى: ﴿وَعَلَى اللَّهِ فَتَوَكَّلُوا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ﴾ [المائدة: ٢٣].

وقال تعالى: ﴿وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفال: ٢].

وفي سنن الترمذي من حديث عمر رضي الله عنه يقول صلى الله عليه وسلم: «لو أنكم تتوكلون على الله حق توكله لرزقكم كما يرزق الطير تغدوا خماصًا، وتروح بطانًا».

يتوكل العبد على ربه

والتوكل : هو صدق اعتماد القلب على الله في جلب المنافع، ودفع المضار مع الأخذ بالأسباب.

«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» يُعلنها من قلب جازم عارف مصدق، هذه كلمة عظيمة «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» يعترف فيها العبد بالعجز والضعف، ويُعلن أن ربه عز وجل هو القادر.

«لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» أي لا سبيل إلى تحول من حال إلى حال، ولا قوة على هذا التحول إلا بالله رب العالمين.

وفي الصحيحين من حديث أبي موسى الأشعري رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له يا عبد الله بن قيس ألا أدلك على كنز من كنوز الجنة «لَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ» كنز من كنوز الجنة.

أسأل الله سبحانه وتعالى أن يوفقنا لطاعته.

الخطبة الثانية

إخوة الإيمان، الذكر والدعاء الذي يشرع عند مغادرة المنزل لمن أراد البركة والفتح والنصر، والتوفيق من الله هو ما جاء عن نبينا ﷺ.

«بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللهِ، اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِلَ أَوْ أُضَل، أَوْ أَزِل أَوْ أُزَل، أَوْ أَظلِم أَوْ أُظْلَم، أَوْ أَجْهَل أَوْ يُجْهَلَ».

تأمل، كيف أن نبينا ﷺ شرع للمسلمين إذا خرج أحدهم من بيته أن يقول هذا الذكر، فكأن الإنسان إذا خرج من بيته فهو معرض للذنوب والخطايا، والظلم، والتجاوز.

ولهذا فإن المسلم أحصن ما يكون، وأبعد ما يكون عن الذنوب والمعاصي إذا كان في بيته.

الأصل أن المسلم يشرع له أن يلازم بيته، وألا يخرج منه إلا لحاجة، ولهذا جاء عن الترمذي من حديث عقبة بن عامر ﷺ أنه قال: يا رسول الله، من النجاة؟ أخبرني عن النجاة كيف أحصلها.

فقال له ﷺ: «أمسك عليك لسانك، وليسعك بيتك، وابكِ على خطيئتك».

وجاء عن أبي الدرداء ﷺ ولا يصح مرفوعًا أنه قال: «نعم صومعة الرجل بيته يكف فيها بصره، ولسانه، وسمعه».

وجاء عن الحسن أنه قال: «البيوت صوامع المؤمنين».

البيت صومعة المؤمن التي يتعبد فيها لربه سبحانه وتعالى، ويحجز فيها نفسه عن معاصي اللسان، وعن معاصي البصر، وعن معاصي الاستماع.

لكن هذا إذا سلم من التلفاز والإنترنت هذه هي المصائب في هذا العصر، إذا سلمه الله من التلفاز، ومن الإنترنت فالبيت صومعتك يراك أبناؤك يرونك على دين، وعلى صلاح فيتأثرون بك يسمعون توجيهاتك،

الزوجة تؤانسها، وتعطف عليها، وتعلمها، وتسلم من أذى الخلق، ومن العدوان عليهم، لكن الإنسان يحتاج إلى الخروج فإذا خرج «اللهم إني أعوذ بك أن أضل، أو أضل».

قال العلماء: مخالطة، ومعاشرة الناس ؛ إما أن تكون في الدين، وإما أن تكون في الدنيا، أما مخالطتهم في الدين فيدعو العبد ربه ألا يَضل، وألا يُضل بأن يسلم؛ لأنه إما أن يَضل بغيره، وإما أن يُضل غيره في الدين، يسأل ربه عز وجل السلامة.

وأما مخالطة، ومعاشرة الخلق في الدنيا فهي إما في معاملة تجارية، وغيرها فيسأل ربه عز وجل ألا يظلم، وألا يُظلم.

وأما أن تكون هذه المخالطة معاشرة بين الناس على سبيل الصحبة والصداقة فيسأل ربه عز وجل ألا يَجهل، وألا يُجهل عليه.

«وأزل» يعني أذنب، والضلال هو الانحراف عن طريق الهدى، والظلم: وضع الشيء في غير موضعه، والجهل هو السفه، ومنه السب، والاستهزاء، حديث جليل!

«اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ أَنْ أَضِل أَوْ أُضَل» هذا أعظم شيء أعظم مطلوب ألا تَضِل، وألا تُضِل، وأعظم الضلال الشرك بالله تعالى.

قال الله سبحانه وتعالى مخبرًا عن إبراهيم عليه السلام: ﴿وَاجْنُبْنِي وَبَنِيَّ أَنْ نَعْبُدَ الْأَصْنَامَ (٣٥) رَبِّ إِنَّهُنَّ أَضْلَلْنَ كَثِيرًا مِنَ النَّاسِ﴾ [إبراهيم: ٣٥، ٣٦].

أعظم ضلال أن تشرك بالله رب العالمين، وكم من أناس يخرجون من بيوتهم؛ ليعمروا القبور والمشاهد، وليدعو أهلها من دون الله عز وجل ويستغيثوا بهم، وينذروا لهم، ويطوفوا بهذه القباب، و هذه الأضرحة، ويمرغوا وجوههم على ترابها شركًا بالله رب العالمين، وخروجًا عن الدين.

أنت على خطر، ولهذا أنت محتاج إلى ربك سبحانه وتعالى، أنت محتاج إلى الله عز وجل.

استشعر أنك محتاج إلى الله، وأن الله إذا لم يوفقك، ولم يسلمك لم تسلم.

«بِاسْمِ اللَّهِ، تَوَكَّلْتُ على اللَّهِ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ اللَّهُمَّ إِنِّي أَعُوذُ بِكَ» أي أستجير واحتمي «أَنْ أَضِل أَوْ أُضَل، أَوْ أَزِل أَوْ أُزَل، أَوْ أَظلِم أَوْ أُظْلَم، أَوْ أَجْهَل أَوْ يُجْهَلَ».

أسأل رب سبحانه وتعالى أن يغفر ذنوبنا، وأن يتجاوز عن سيئاتنا، وأن ينصر المسلمين، وأن يفرج عنهم .

نعم الله تعالى

إن الحمد لله نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، ومن سيئات أعمالنا، من يهده الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله.

معاشر المسلمين، فإن النفوس المؤمنة والقلوب العامرة بمحبة الله عز وجل تستشعر في كل لحظة أنها محاطة بنعم من الله عز وجل، لا تعد ولا تحصى، وأنها مأمورة بتأدية وظيفة الشكر لله تعالى على هذه النعم

النفوس المؤمنة، والقلوب المحبة لرب العزة والجلال تعترف بنعم ربنا سبحانه وتعالى، وتعتقد أنه يجب عليها شكر هذه النعم، وأن شكر الله سبحانه وتعالى على نعمه يكون بالقلب اعترافًا، وباللسان حمدًا وثناء، وبالجوارح طاعة وتقربًا إلى الله عز وجل بالأعمال الصالحات

لكن هذه القلوب وهذه النفوس إذا تراكمت عليها سحب الغفلة، والمعصية، والذنوب فإنها لا تكون إلا متضجرة ساخطة لا تعترف على الحقيقة لله عز وجل بنعمة.

تأمل يا عبد الله، في هذا الحديث الجليل الذي أخرجه البخاري في الأدب المفرد، والترمذي، وحسنه الإمام الألباني الذي يقول فيه رسول الله ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في بدنه عنده قوت يومه فكأنما حيزت له الدنيا».

تذكير من رسول الله ﷺ بأصول النعم التي ربما لم يخلو ولا يخلو منها عبد، ولكن أكثرنا في غفلة عن هذه النعم، وفي عدم اعتراف بها، لما عليه الأكثرون من النظر إلى أصحاب الثراء، وأصحاب الأموال الطائلة.

النبي ﷺ يقول كما في الصحيحين عن أبي هريرة رضي الله عنه يقول نبينا ﷺ: «انظروا إلى من هو أسفل منكم، ولا تنظروا إلى من هو فوقكم، فإنه أجدر ألا تزدروا نعمة الله».

إذا قارنت حالك بمن لا يجد مسكنًا، بل مسكنه العراء، ومن لا يجد قوتًا، بل ربما بات خاويًا بلا طعام أيامًا

وإذا قارنت نفسك بأناس يستيقظون وينامون على دوي المدافع، وأزيز الرصاص في بلاد لا تعرف للأمن طعمًا، إذا قارنت نفسك بهؤلاء ونظرت إلى حالك فإنك بذلك تعرف عظمة نعم الله عليك، وتعلم أنك مطالب بشكر هذه النعم، أما إذا نظرت إلى من هو فوقك ممن أوتي مالًا، ورياشًا، وكان من أصحاب النفوذ، والثروة فإنك لا تزال ساخطًا على حالك.

يقول النبي ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه» قيل: في نفسه، وقيل: السرب الجماعة؛ يعني في أهله، بين أهله آمنًا

نعمة الأمن، من أعظم النعم، وكثيرًا ما يقرن الله سبحانه وتعالى بها نعمة دفع الجوع الذي يكون بوفرة الطعام، قال الله سبحانه وتعالى في كتابه الكريم: ﴿فَلْيَعْبُدُوا رَبَّ هَذَا الْبَيْتِ (٣) الَّذِي أَطْعَمَهُمْ مِنْ جُوعٍ وَآمَنَهُمْ مِنْ خَوْفٍ﴾ [قريش: ٣، ٤].

أمرهم بأن يفردوه بالعبادة، وأن يطيعوه، وذكّرهم بنعمتين من أعظم النعم؛ الإطعام بعد الجوع، والأمن بعد الخوف، وتأمل قول الله تعالى: ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ﴾ [النحل: ١١٢].

احذر يا عبد الله، فإنك إذا لم تؤدِ شكر الله على نعمه، بل كفرت هذه النعم بالتسخط والضجر والشكوى الدائمة، وما أكثر ما نسمع الشكوى في هذه الأيام

إذا كفرت هذه النعم، فاعلم أنك على خطر عظيم، وأنك على سبيل المفارقة لهذه النعم، ﴿وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ﴾ [النحل: ١١٢].

نعمة الأمن، نعمة جليلة ومنة عظيمة من رب العزة والجلال

ما أعظم ما يُنال به الأمن في الدنيا والآخرة؟

أجل ما يحصل به الأمن، والطمأنينة، وراحة البال في الدنيا والخير في الآخرة هو توحيد الله رب العالمين.

قال ربنا عز وجل: ﴿الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ﴾ [الأنعام: ٨٢].

ويقول سبحانه وتعالى: ﴿وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ كَمَا اسْتَخْلَفَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ وَلَيُمَكِّنَنَّ لَهُمْ دِينَهُمُ الَّذِي ارْتَضَى لَهُمْ وَلَيُبَدِّلَنَّهُمْ مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ أَمْنًا يَعْبُدُونَنِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا﴾ [النور: ٥٥].

ما استُجلب الأمن، لا استقر بشيء أجل من تعظيم الله وتوحيده، وإفراده بالعبادة، ولهذا فإن الذين ذلت قلوبهم لغير الله، وتعلقت بالمقبورين فهم لا يزالون في خوف، وقلق، ووحشة شديدة

من أصبح منكم آمنًا في سربه

أنت في نعم، أنت في نعم كبيرة

«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في بدنه، عنده قوت يومه فكأنما حيزت» يعني جُمعت «له الدنيا».

جمعت لك الدنيا، أنت عندك الدنيا كلها، ومع ذلك لا تشعر، ولا تشكر.

في صحيح مسلم أن رجلًا قال لعبد الله بن عمرو ابن العاص ﷺ ألسنا من فقراء المهاجرين، فقال له عبد الله ابن عمرو ﷺ ، ألك امرأة تأوي إليها؟ قال: نعم، قال: ألك مسكن تسكنه؟ قال: نعم، قال: فأنت من الأغنياء.

أنت من الأغنياء وتريد أن تقحم نفسك في فقراء المهاجرين

قال: وإن لي خادمًا، قال: فأنت من الملوك

عندك خادم، أنت من الملوك، ولهذا من توفيق الله عز وجل للعبد أن يرزقه الاعتراف بنعم الله سبحانه وتعالى، والشعور بعظمتها، لا أن يستقلها، ويستصغرها فلا يزال ساخطًا لا يسمع منه كلمة حمد لله رب العالمين!

أسأل الله عز وجل أن يوفقنا لكل خير!

الخطبة الثانية

أيها المسلم، أنت غني، لكنك فقير

إلا من رحم الله

أنت غني بنعم أخبر عنها رسول الله ﷺ بأن من أوتيها فكأنما حيزت له الدنيا، ولكنك فقير، وذلك أن الغنى غنى القلب، والفقر فقر القلب، الغنى أن تكون قنوعًا في صحيح مسلم يقول النبي ﷺ: «قَدْ أَفْلَحَ مَنْ أَسْلَمَ، وَرُزِقَ كَفَافًا، وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ».

الفلاح أجمع كلمة لخير

مفلح من كان ذا عقيدة صحيحة، وذا إسلام رجيح، وذا عمل صالح.

«وَرُزِقَ كَفَافًا» ليس عنده من الرزق إلا ما يكفيه، فكيف إذا زاد الرزق وكان على إسلام وإيمان.

«وَقَنَّعَهُ اللهُ بِمَا آتَاهُ» القناعة التي هي الرضا بما قسمه الله -عز وجل- من الرزق، القناعة التي يعيش صاحبها عيشًا طيبًا سعيدا ليس في قلبه

شيء من الفقر، الفقر الذي يسكن القلب هذه مصيبة كبرى يقول ربنا -عز وجل-: ﴿مَنْ عَمِلَ صَالِحًا مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَنُحْيِيَنَّهُ حَيَاةً طَيِّبَةً﴾ [النحل: ٩٧].

هذه القناعة صاحب القناعة يعيش حياة طيبة

الجوع يطرد بالرغيف اليابس فعلام تكثر حسرتي ووساوسي

الذي يأكل في مائدة فيها ما لذ وطاب، والذي يأكل كسرة يابسة مع شيء من زيت إذا ما قضيا وجبتهما استويا، كانا سواء.

الفقر فقر القلب، وهذا شأن أكثر الناس إلا من رحم الله -عز وجل-.

قال تعالى: ﴿وَأُحْضِرَتِ الْأَنْفُسُ الشُّحَّ﴾ [النساء: ١٢٨] عندها شح وحرص على هذه الدنيا.

يقول النبي ﷺ: «من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في بدنه» صحيح البدن ظاهرًا، وباطنًا أخبر رسول الله ﷺ أنه ما أوتي أحد عطاء بعد اليقين خير من العافية.

ولهذا جاء في صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما قال: «كان رسول الله ﷺ يدعو بهذا الدعاء اللهم إني أعوذ بك من زوال نعمتك، وتحول عافيتك وفجاءة نقمتك، وجميع سخطك».

كان يدعو ربه -عز وجل- أن يعيذه من تحول العافية؛ لأنها نعمة كبيرة، وكان من دعائه ﷺ كما في المسند «اللهم إني أعوذ بك من البرص، والجنون، والجذام، ومن سيء الأسقام» هذا دعاؤه ﷺ.

وابن عمر رضي الله عنهما لما روى حديث رسول الله ﷺ: «كن في الدنيا كأنك غريب، أو عابر سبيل» قال ابن عمر رضي الله عنهما: «إذا أصبحت فلا تنتظر المساء» ليكن عندك قصر أمل في الدنيا، لا تؤمل في هذه الدنيا، يا مسكين، لا تؤمل في هذه الدنيا؛ لأنك إذا أملّت في هذه الدنيا أخلدت

إلى أرضها، وأُسرت في سجنها فينزل عليك الموت، وأنت لست مستعدًا للرحيل، ترحل بلا زاد إلى يوم المعاد.

«إذا أصبحت فلا تنتظر المساء، وإذا أمسيت فلا تنتظر الصباح، وخذ من صحتك لمرضك، ومن حياتك لسقمك».

إذا كنت صحيحًا أشغل هذا البدن بطاعة الله -عز وجل-؛ لهذا جاء في صحيح البخاري عن ابن عباس ﷺ: «نعمتان مغبون فيهما كثير من الناس الصحة والفراغ».

عندك صحة هذه نعمة كبيرة، ما الذي عملته لشغل هذه النعمة.

«من أصبح منكم آمنًا في سربه، معافى في بدنه عنده قوت يومه» قوت اليوم هو ما يغدي ويعشي، عندك قوت اليوم، وأنت صحيح البدن، وأنت في أمن أنت عندك الدنيا كلها، أنت الحمد لله تنام شبعان، تنام شبعان، احمد ربك -عز وجل-.

فإن النبي ﷺ كان يتعوذ يقول: «اللهم إني أعوذ بك من الجوع فإنه بئس الضجيع» بئس الضجيع أن ينام الإنسان جائعًا.

لكن بارك الله فيك من شكر هذه النعم أن تتفقد إخوانك المسلمين من المرضى بالدعاء، وببذل المال عسى أن يزول عنهم المرض، وأن تتفقد إخوانك الجوعى أن تواسيهم، وأن تطعمهم، بهذا تشكر نعم الله -سبحانه وتعالى-.

إخوة الإيمان، الموصل مدينة عراقية سقطت في يدي من يسمون بالخلافة، وهم من الخوارج، وسقوط الموصل كان غريبًا، عجيبًا، الآن الموصل تدك دكًا، أهلكم بالموصل تطايرت أشلاء بعضهم، تناثرت دماؤهم، رأينا آباء يبكون بكاء الصغار على أهل لهم، وعلى أولاد لهم صاروا قطعًا متناثرة تصب عليهم الحمم من الرافضة قبحهم الله تعالى!

الذين ما يريدون أن يبقوا على طفلًا واحدًا اللهم فرج عنهم يا رب العالمين، اللهم فرج عنهم يا رب العالمين!

اللهم أزل عنهم اللأواء، والبأساء، والضراء، اللهم احقن دمائهم، اللهم أمنهم في بلدهم، اللهم عليك بالرافضة، وعليك بالخوارج، فإن سكان الموصل بين مطرقة الخوارج، وسندان الرافضة.

أسأل الله -عز وجل- أن يفرج عنهم!

محتويات الكتاب

الموضوع	الصفحة
مقدمة	١
حقيقة دين الإسلام	٢
الرحمة المهداة	١٠
وجاهدوا في الله حق جهاده	١٥
الفرار إلى الله من سخطه	٢٤
حلاوة الإيمان.....	٣٢
فضل أبي بكر الصديق ﷺ	٣٩
مناقب الأشعريين	٤٨
ثلاث من الإيمان	٥٥
التوحيد الخالص	٦٢
خطر المخدرات	٦٩
رأس الهدى التوحيد	٧٦
تجارة الدنيا	٨٢
قصة سلمان الفارسي	٩٠
مقام التوبة	١٠٠
قتل مائة نفس	١٠٨
التيجانية	١١٥

الموضوع	الصفحة

شهر رمضان ١٢٤
صلة الصوم بالعقيدة والمنهج ١٣١
رمضان وأهل الإعلام ١٣٨
فضل كتاب الله ١٤٤
ادْعُونِي أَسْتَجِبْ لَكُمْ ١٥٠
رابطة الإسلام - زكاة الفطر ١٥٦
فضل الذكر ١٦٣
نعم الله تعالى ١٧٠
محتويات الكتاب ١٧٧